مجلة الليبي
The Libyan

شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة الخدمات الإعلامية بمجلس النواب الليبي

السنة الثانية العدد 17 / مايو 2020

كورونا ... مكمم الأفواه

صورة الغلاف

عمل فني رائع للفنان الفلبيني « سي جي ترينداد » بعنوان "تواصل الأقنعة" يمثل الموقف الموحد الذي اتخذه البشر في مجابهة كورونا .

قال الفنان إنه يريد من خلال هذا العمل تصوير كيف يلعب التواصل بين الدول دورًا مهمًا في مواجهة تفشي الفيروس

وقد استغرق أسبوعين تقريباً لإنهاء هذا العمل الفني، علماً بأن هذه اللوحة المعبرة تعرضت للتشويه عبر وضع علم اسرائيل على وجه الشخصية التي تمثل المواطن العربي في وسط الصورة، غير أن هذه اللوحة هي اللوحة الأصلية التي ابدعها الفنان .

الليبي
The Libyan

شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة الخدمات
الإعلامية بمجلس النواب الليبي

رئيس التحرير
الصديق بودوارة

Editor in Chief
Alsadiq Bwdawarat

مدير التحرير:
أ. سارة الشريف

سكريتر التحرير:
عبد الناصر مفتاح حسين

مكتب القاهرة :
علي الحويج

مكتب تونس :
سماح بني داود

مكتب فلسطين :
فراس حج محمد

شؤون إدارية:
رمضان عبد الونيس

خدمات عامة:
محمد الورشفاني
حسين راضي

الأخراج الفني
محمد حسن محمد

العنوان في ليبيا

مدينة البيضاء - الطريق الدائري الغربي

عناوين البريد الإلكتروني

libyanmagazine@gmail.com

info@libyanmagazine.com

Ads@libyanmagazine.com

http://libyanmagazine.com

شروط النشر في مجلة الليبي

توجيه المقالات الي رئيس تحرير المجله.
تكتب المقالات باللغه العربيه وبخط واضح وترسل علي البريد الالكتروني ومرفقه بما يلي :

1. سيرة ذاتيه للمؤلف او المترجم .
2. الاصل الاجنبي للترجمه اذا كانت المقالة مترجمة.
3. يفضل ان تكون المقالات الثقافية مدعمه بصور اصلية عاليه النقاء مع ذكر مصادر هذه الصور ومراعاة ترجمه تعليقات وشروح الصور والجداول الي اللغه العربيه.

- الموضوعات التي لا تنشر لا تعاد الي اصحابها.
- يحق للمجله حذف او تعديل او اضافة اي فقرة من المقالة تماشياً مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعاً للحدود الدولية.
- لا يجوز اعادة النشر بأي وسيلة لا مادة نشرتها الليبي بدايه اصدار العدد الاول وحتي تاريخه دون موافقة خطية من الجهات المختصة بالمجلة إلا اعتبر خرقاً لقانون الملكية الفكرية.

المواد المنشورة تعبر ان اراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رآي المجلة ويتحمل كاتب المقال جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير .

الليبي
The Libyan
السنة الثانية
العدد 17
مايو 2020

محتويات العدد

افتتاحية رئيس التحرير

(ص 8) افتتاحية العدد
نبوءة

(ص 10) الجائحة في عيونهم
« استبيان الليبي»

(ص 22) الشعر الشعبي يرفض الإحتجاب.

(ص 26) الطيران في مواجهة الكورونا.

(ص 28) نبوءة العراب أحمد خالد توفيق.

(ص 30) أسوة بالغراب.. الخفاش يلقننا درسا.

(ص 34) الأوبئة في تاريخ ليبيا.

(ص 40) الأوبئة وتأثيرها في الأدب العالمي.

(ص 44) عندما يتغول الوباء

(ص 46) لوتشيا.

(ص 47) في شارع الكورونا.

(ص 49) سينوغرافيا للمشهد اللغوي.

(ص 51) الزمن الصعب

(ص 52) الموت القادم من الصين.

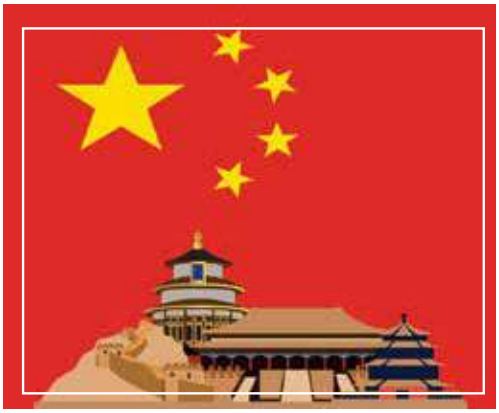

(ص 54) كورونا يحكم العالم.

(ص 55) الرسول الجديد.

(ص 58) ثقافة الوعي الوقائي من الأوبئة في التشريع الإسلامي

محتويات العدد

(ص 60) الجائحة خيال المؤلف أم نبوءة .

(ص 62) وصف المرض وتشخيصة في الشعر العربي.

(ص 69) واقع حكايات العدوى.

(ص 76) على شفا حفرة من الحب المريض

(ص 78) الأبداع الفني في خضم الأوبئة 1

(ص 82) الأوبئة والمجاعات في المغرب.

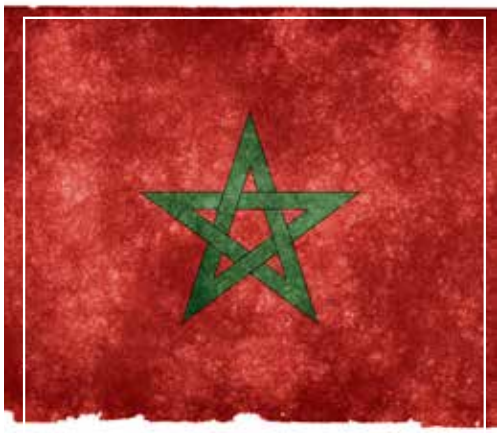

(ص 88) أشد الجوائح والأوبئة فتكًا فى تاريخ البشرية.

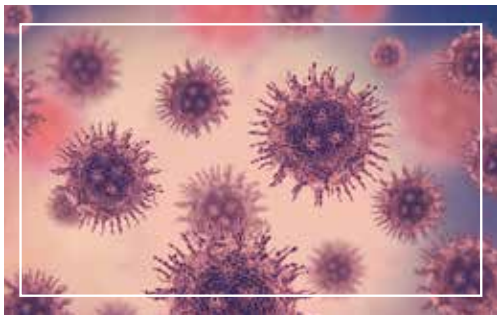

(ص 90) أربعة طرق للقضاء على الكورونا

(ص 92) رأسمالية الكوارث

(ص 94) استدراج الذات للتّصالح معها.

(ص 96) أهوال الكورونا.

قبل أن نفترق

(ص 98) مأزق الأعداد الخاصة

الاشتراكات

قيمه الاشتراك السنوي 10 دل وداخل الوطن العربي 10دل أو يعادلها بالدولار.

- باقي الدول العالم 10 دل أو مايعادلها بالدولار الامريكي أو اليورو الأوربي.
- ترسل قيمه الإشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالعملات المذكورة بإسم مؤسسه الخدمات الاعلامية بمجلس النواب الليبي علي عنوان المجلة.

ثمن النسخة

ليبيا 5 دينار ليبي (الأردن 5 د.ل – البحرين 5 د.ل – مصر 5 د.ل – السودان 5 د.ل) اول يعادلها بالدولات

(موريتانيا 5 د.ل – تونس 5 د.ل – الإمارات 5 د.ل – المغرب 5 د.ل ، الكويت 5د.ل– العراق 5 د.ل) اول يعادلها بالدولات

Iran400Riyal،Pakistan75Rupees،UK2.5pound،Italy2€،

France2€،Austria2€،Germany2€،USA2$،Canada4.25CD

محمد الذيب ليبيا

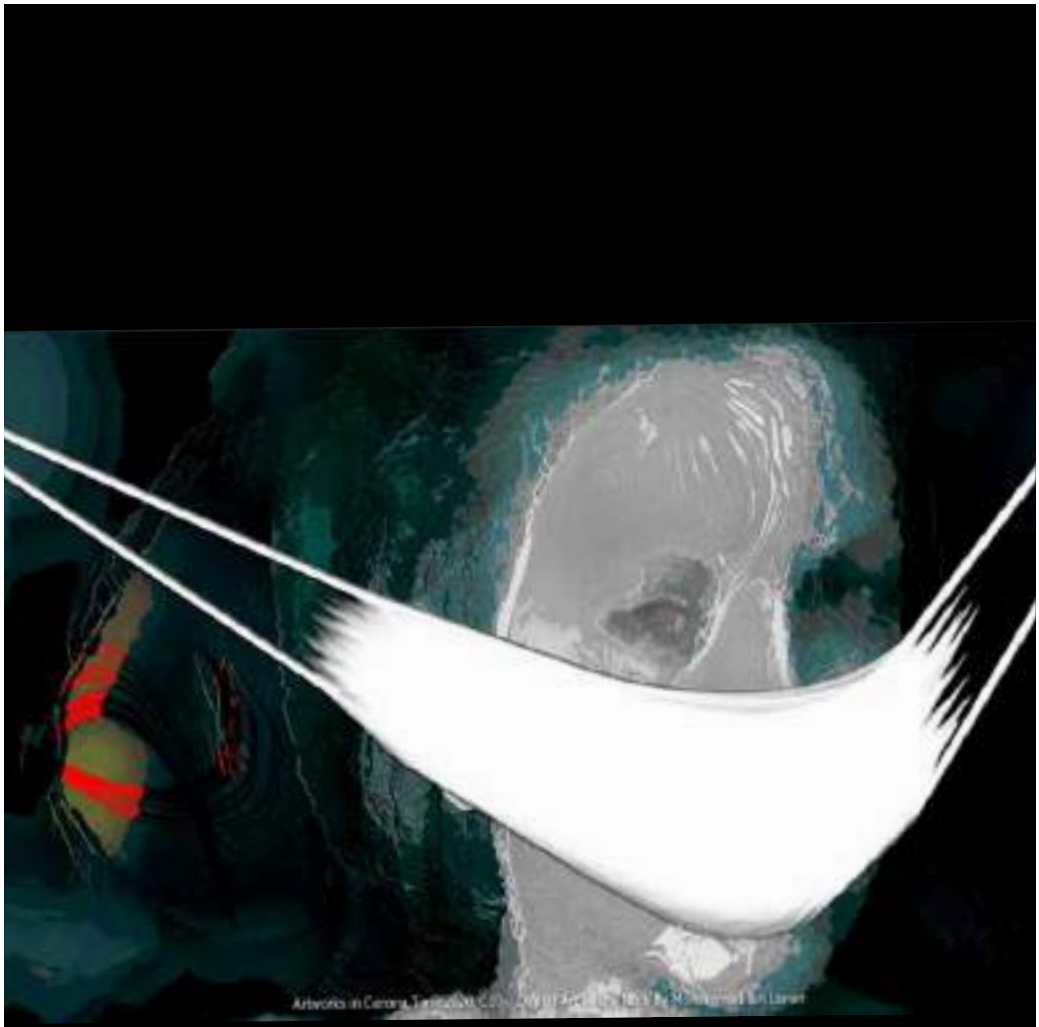

محمد الأمين ليبيا

نبـــوءة

بقلم : رئيس التحرير

أتوا ناري فقلت منون أنتم ... فقالوا
الجنّ قلت: عموا ظلاماً
شمير بن الحارث. العصر الجاهلي.

شمير بن الحارث» يعتاد الأمر، إنه يستقبل على باب خيمته نفراً من الجن، وعندما يسألهم هن هويتهم يجيبونه بكل بساطة بأنهم «الجن»، لكنه يرد عليهم ببساطة أكبر، عمو ظلاماً. وهي البديل عن تلك العبارة التي كانت مستعملة قبل الاسلام بين العرب، «عمو صباحا»، و» عمو مساءً» أي بمعنى مساءكم طيب بلغتنا نحن الآن . مساءك طيب أيها الفايروس، هكذا سيكون الأمر مع البشر بعد أن يعتادوا التعايش معه، وذلك لأنهم ببساطة متناهية لا يستطيعون أن يتعايشوا طويلاً مع العزلة ومع التباعد ومع الحجر وعدم الخروج .

لذلك، سوف يعتاد سكان الأرض هذا الفايروس، وسوف يجدون له الدواء، بالعلم وبالمختبرات وليس بالشعوذة والضحك على الذقون .

وإلى أن يكتشف عالم متواضع مثابر ذلك الترياق، سوف يظل الناس يخرجون، ويتقابلون، ويحبون، ويكرهون، ويسرقون، ويُسرق منهم، ويقتلون، ويُقتل فيهم.
لا أحد يستطيع أن يغير منطق الحياة، ومن منطق الحياة أن ينتشر الموت.
لن أطيل هذه المرة، لكي افسح المجال لهذا الفيض الممتع من المقالات الخاصة بالكورونا، فهذا عدد الفايروس بامتياز، وإلى أن نلتقي في العدد الثامن عشر سأقول لكم إن «شمير بن الحارث» كان على حق عندما همس بعباراته العظيمة، وها أنا أهمس بها بعده :
عم ظلاماً أيها الفايروس .

استبيان مجلة الليبي حول كورونا ..

الجائحة في عيونهم

((العقل الجمعي إذا ما جوبه بسياساتٍ عامة، فإنه قد يتحول إلى تابعٍ لعقلية القطيع، وخاصةً إذا ما تعلق الأمر بضرورة شخصية يهتم بها كل فرد على حدة .

هذه الضرورة تتجلى في أوضح مظاهرها في النواحي التي تهم صحة الانسان وسلامة جسده وأجهزته الحيوية .

وفي قلب الحدث الذي نعيشه، يسر مجلة الليبي الثقافية أن تستطلع آراء النخبة من المجتمع العربي، تلك النخبة التي تُنزل الفكر والتأمل والتحليل منزلته اللائقة، وتبّجل المعرفة والقراءة وتستزيد كل يومٍ من ثروة الكتابة والبحث .

لهذا كله يسرنا أن تتكرموا بالإجابة على هذه الأسئلة، لعلنا نستمتع بحوارٍ مثمر حتى وإن كان السبب في انطلاقه مرض ليس مثمراً أبداً أن نستمتع به :

كانت هذه هي صيغة الاستبيان الذي أجرته مجلة الليبي - في حدود ما سمحت به امكانيات العمل في ظل الحجر الصحي - وكانت هذه هي إجابات المبدعين .حسب ترتيب الأسئلة .

سوف نسرد لكم إجابات المبدعين الذين تواصلنا معهم، مع الاعتذار لآخرين لم يسعفنا الوقت ولا الامكانيات للتواصل معهم، وسوف نقرأ جيداً ما حدث لنا من الداخل قبل أن تذيعه وكالات الأنباء :

صفية العايش .ليبيا :

نحن اصلاً معزولون عن العالم .

ـــ لم يكن لبلادنا حتى الآن نصيب حقيقي من هذه الهستيريا، لم نتأثر بالشكل المطلوب لأننا معزولون تماما عن العالم الآخر، إننا لا نرتبط بالعالم إلا من الناحية الاقتصادية، الاستهلاك فقط هو ما يعنينا، وإن كان يمكن للأيام القادمة أن تحمل تأزماً عاماً في وضع القارة الأفريقية بالمجمل كما يقول تقرير الدايلي ميل فإن الأمر ربما يصبح هستيريا عندنا، ويمكننا أن نتكلم حينها عن هستيريا تجتاح المجتمع، وبالنظر ملياً في المجتمع فهو إلى الآن يمر بحالة إنكار، حيث ينكر الغالبية وجود فايروس أصلاً أو يتعاطى معه ليس بصورة علمية بل بصورة خرافية (نظريات المؤامرة وما شابه ذلك) لهذا أنا أرى

أن الهستيريا لفظ لا يصلح مع واقع تعاملنا مع الأزمة.

ـــ الفايروس لا يصدم المتعلمين، إن المتعلمين يدركون تماماً أن الأرض تنفض عن ريشها العوالق الزائدة كي تكون أخف، تقنيات الحياة ومنهجها يقتضي أن تتغير ديموغرافيا الأرض من فترة إلى أخرى، كما أن واقع الفيروسات والأوبئة واقع قديم جداً، إنه ليس الفيروس الأول، وليس الفيروس الأخير الذي سيجبرنا أن نبقى في المنازل أو يجبرنا أن نغير عاداتنا الاجتماعية، ليس الأول من نوعه الذي سيجعلنا نغلق كل شيء ونتوحد مع أنفسنا، إن الأمر ليس خيالاً علمياً. إنه أمر قد وقع قبلاً وتكرر، حتى أن التاريخ نفسه يشعر بالضجر من جراء ذلك، إنه بالمعنى المجازي مجرد مُتوالية .

ـــ البشرية في حركة مستمرة، الواقع البشري ليس واقعاً جامداً، إنه واقع يمتاز بالديناميكية الحتمية، ليست الحركة صفة اختيارية، الحركة صفة إجبارية، والبشرية تتحرك وتقاوم منذ القدم مما يعني أنه لولا كفاءتها لما بقت سيدة الكوكب .

ـــ هذا الفايروس لم يهمس بأذننا بأي شيء، لأن العلم الحديث همس كل شيء منذ نشأته وأخبرنا بكل شيء، حتى أن العلم والآلة الصناعية وكل الثورات الكبرى همست في آذاننا بمساوئها قبل محاسنها .

فوزي المزيني. ليبيا : الكورونا مؤامرة عالمية .

ـــ هذا سؤال جوهري في هذا الوقت وللإجابة يجب أن نربط الأحداث .. من وجهة نظري أن هذا المسمى « العقل الجمعي « اصطلاح يختلف نوع فهمه من شخص إلى آخر، لكنه واقع على أرض الحياة ..العقل الجمعي هو التيار الاجتماعي السائد والفكرة التي تسيطر على جمهور واسع في أي مكان أو بلاد ..عن نفسي اتشكك في بعض الأحداث التي جرت وتجري، ومن قبل هذه الحالة الهستيرية المسماة « جائحة ‹ فيروس يسمى « كوفيد 19 كورونا «، هناك حالات كثيرة كانت تجري على أصعدة

• كيف رأيت هذه الهستيريا التي ألمت بالعالم كله؟

اخرى لها تأثير على(العقل الجمعي) مثلاً : أحداث سبتمبر 2011 التي اعتبرها محاولة لاستقطاب العقل الجمعي العالمي تجاه (فكرة)، قد يبدو هذا التفسير خيالياً ومرتبطاً بحالة من الارتياب في أن هناك أيادي خفية في العالم تصنع أحداثاً، أو وقائع ..حتى كوارث وحالات من الهلع (ميلودراما) عالمية تفتح انظار البشر على مستجدات اخرى تحدث عقب الحادثة .... وكذلك اعتبر هذه الجائحة فيروس كورونا حدث بأيادي خفية تدعمه بروباقاندا عالمية من أجل اهداف أخرى غير معلنة في هذه الآونة، ولكن لها ثمارها في المستقبل القريب، وأعني بالمختصر هي حرب بيولوجية جديدة لها تأثيرها حتى على طرق التفكير بين البشر، وسوف تستجد عادات وطرق معاملة لم نكن نعرفها، وهذا هو التغيير المطلوب من تلك الجهة (نظرية مؤامرة)، في العموم هنالك أيادي خفية لهذه الحادثة .

ـــ السلوك البشري ايضاً مستهدف، وكذلك العقل، حيث الرهبة والخوف من المجهول كلها مقصودة ومحسوبة النتائج ...

ـــ ربما هذا التفسير الأقرب إلى قناعتي الشخصية، ولست أعني معرفة بحقيقة المؤامرة التي تحدث بقدر ماهو ارتياب وشك في هذه الحالة ...

ـــ هنالك ابعاد روحانية أيضاً وحقائق تثير الشكوك كثيرة والعالم اليوم مليء بالمؤامرات والتجارب العلمية الحديثة، أرى أننا على مشارف انتهاء عصر وبداية عصر آخر.

جمعة عبدالعليم. شاعر. ليبيا :

هذا الفايروس وضع النقاط على الحروف .

ـ هذه الهستيريا دليل هشاشة هذا العالم، دليل على تمسكه بمنظومة من الأفكار والرؤى، برّاقة

• خلو الساحات العالمية الكبرى من البشر، سواءً الدينية أو السياحية أو الحضارية، ألم يكن قبل اليوم ضرباً من الخيال العلمي ؟ هل يمكن للخيال العلمي الذي طالما قرأناه أن يتحقق ، أو أنك رأيت أنه تحقق بالفعل ؟

لكنها خالية من الداخل، مخادعة لكنها تسقط عند أول اختبار، حديثة، لكنها لم تلم بتاريخ البشرية المليء بالتجارب ..

ـ هذه الجائحة وضعت النقاط على الحروف، أعادت الاعتبار للإنسان كنموذج للخلق، فضحت المبالغة في التدين، نزعت الوساطات التي خلقتها النخب بين الإنسان وخالقه، وأعادت الإنسان إلى مجده الأول كخليفة لله في الأرض ..

ـ ليس كثيراً، لأنني لطالما كنت أشعر بتراكم فعل المبالغة، وعزل الإنسان عن مهنته الأساسية المتمثلة في خوض التجربة ومحاولة الإنسان لإعمار هذه الأرض في حرية تامة وبدون حواجز فكرية أو دينية.

ـ أعتقد أن الإنسانية قادرة على الدفاع عن نفسها، وبالنظر إلى ما تراكم في تاريخها الطويل من أزمات مماثلة فإنها حتما ستنتصر ..

ـ أعتقد أنه همس في آذاننا قائلا : أيها الإنسان إنك سيد هذه الأرض لا أحد أكبر منك سوى خالقك لا تجعل الأيديولوجيا تعطلك عن الأمانة التي حملتها ..

د. عبدالله علي عمران . شاعر . ليبيا .

الانسانية تعيد اكتشاف نفسها .

ـ الإنسانية تعيد اكتشاف نفسها .

ـ الخيال أهم من المعرفة (كما يقول اينشتاين) المشكلة أن الإنسان تخيل و لكنه لم يعرف

ـ قياسا إلى تجارب سابقة مثل انفلونزا الخنازير و السارس و أيبولا، صدمت جداً بوصوله إلى أوروبا و عدد الوفيات خاصة في ايطاليا و اسبانيا، و الصدمة الكبرى هو أن يصيب رؤساء ووزراء دول عظمى.

ـ تبين أن البشرية تبدع و تسرع في إنهاء الحياة، و لكنها على العكس عندما يتطلب الأمر الحفاظ عليها.

ـ عبارة الفيلسوف الألماني نيتشة «هذا هو الإنسان».

نسيم كروش. مذيع ومعد برامج. ليبيا.

ارايتم ماذا سيحدث لو اننا قطط؟

ان العالم اجمع ما من شيء يقيهم من هذا الفايروس سوى مكوثهم في البيت، ذلك الامر الذي يكاد يكون صعباً جداً في ظل متطلبات المعيشة اليومية، وهنا لا اتحدث عن الدول المتقدمة علمياً ولا تُكنلوجياً ولا حتى الحياة النمطية التي يعيشونها.

الخيال العلمي موجود حتى قبل الازمة، ولكن سُبل التعايش والارض الخصبة لذلك متوفرة فترة ما بعد كورونا، ولو ناخذ مثالاً لو اننا قطط تجوب الشوارع الآن، ماذا ستكون ردة فعلنا حيال ما يحدث؟ بكل تاكيد سنعتقد باننا احتللنا العالم وسلبناه من البشر دونما تكلف منا، ارايتم ماذا سيحدث لو اننا قطط؟

ما من عاقل موجود في هذه الارض يتخيل ما حدث للعالم بسبب فايروس او عدو ليس له وجود حقيقي بيننا.

أبداً، اظهرت مدى ضعفها وعدم مقدرتها، وان القدرة الحقيقية هي الدفاع لا الهجوم.

باشياء كثيرة، اعاد ترتيب حياتنا بكل انسيابية دون انزعاج ورتب الاوراق المختلطه من حيث الاولويات والاشياء التي لا بد من ان نهتم بها وكانت ضرب الحائط .

إبراهيم جوهر. روائي وكاتب وأكاديمي. فلسطين: البعوضة تدمي مقلة الأسد

ــ هذه الهستيريا غير المسبوقة وضعت العالم بأسره في ميدان الأسئلة والحيرة والقلق لتظهر هشاشة النظام العالمي والنظم السياسية القائمة في بلادنا العربية وفي بلدان العالم بأسره. نحن ضعاف وإن أبدينا القوة والحيطة. فاجأنا فيروس غير مرئي فأعادنا إلى زوايا البيوت وحاصر مؤسساتنا وحياتنا. ما زلتُ في دوّامة أسئلتي غير مصدّق هذا الخواء الفظيع كلّه. أنا فرد في هذه المنظومة المصدومة لذا تابعت بكثير من حب المعرفة وانتظرت الجديد الذي لم يأت بعد.

-تحقق الخيال العلمي المتطرف بصورة أكثر وحشية وسلبية. يظل الخيال خيالاً إلى أن يصير واقعاً ليأخذ شكلاً أكثر قسوة...لا أظن أنّ أحداً من ذوي الخيال قد تنبّأ بما هو كائن اليوم...

-بالتأكيد...فاجأني بصدمة كبيرة، لكنها صدمة وصلتني مفرّقة على دفعات كحال أي صدمة: تبدأ بإنكار المرء لها، ثم يبدأ بالتقبّل غير الواعي...حتى تصير حقيقة مسلّماً بوجودها وآثارها .

-البشرية بقواها المقرّرة المتحكّمة بالثروات والقرارات تعرّت اليوم وهي تكتشف أنها كانت تنظر بعين واحدة.

-يعيدنا هذا الوافد الغريب العجيب إلى ذواتنا أفراداً ومجموعات...يكشف لنا ضعفنا وخيبتنا وعجزنا وهشاشتنا. إنّه يقول بصوت مسموع: لا تتكبّروا وأنتم القائلون «إن البعوضة تدمي مقلة الأسد». أنتم لستم أسوداً أمام غضب الحياة وشيطانية مخططي السياسة العالمية .

دليلة زيتوني. كاتبة. تونس: أسئلة بلا جواب .

ــ لم يكن أحد يتصور أن «الكرونا « هذا الفيروس القاتل عند ظهوره بمقاطعة يوهان الصينية أن ينتقل الى كل أصقاع الدنيا بهذه السرعة العجيبة .

ــ هذا الفيروس أحدث صدمة عنيفة بالعالم وأخضع أغنى الدول واعتاها الى جبروته.

ــ إجبار الناس على الحظر العام وإلزامهم بالبقاء في منازلهم، ومنع السفر، وكل التظاهرات الثقافية والدينية، ومنع المصلين من ارتياد المساجد للصلاة، وخلو الساحات العالمية الكبرى التي كانت إلى وقت قريب تعج بالناس مما حول المدن الى مدن أشباح، قد كان فعلاً ضرباً من الخيال العلمي حتى ديسمبر 2019 . وها هو الفيروس الآن يجتاح العالم بأسره دون تمييز بين الجنس واللون والدين أو بين الثراء و الفقر ، يجتاحها أقوى من كل الجحافل العسكرية والقوى التي كانت تسمى العظمى فانهارت اليوم.

ــ لأنني تابعت تطوراته منذ بداية انتشاره بمقاطعة يوهان الصينية، فقد أصابني الرعب عند الاعلان عن أول إصابة في تونس، فدخلت في الحظر مباشرة حتى قبل الاعلان الرسمي عنه من قبل الدولة. و في الأيام الأولى انتابتني حالة من القلق والإكتئاب وقلة النوم بسبب الحيرة ومواجهة المجهول، فكل مشاريع السفر توقفت، ولا نعلم كم سيطول الأمر . ولكن شيئا فشيئاً بدأ الخوف يتلاشى، و بدأت أتأقلم مع الوضع الجديد..

أمضي يومي في شؤون البيت، وإعداد الطعام، والجلوس في حديقة المنزل أراقب نمو الأشجار والنبات في فصل الربيع هذا، وهو فصل مزهر مثمر يتحدى كل شيء حتى الفيروس فيعطيني زخماً للحياة، فأزرع بعض الخضروات الضرورية برفقة زوجي كالبقدونس والبصل والثوم والفجل مما سينفعنا في الأيام القادمة. وفضلاً عن كل هذا أبحر مع شبكات التواصل الى العائلة والأصدقاء، وأتابع تطور الأحداث ، وأهمها الفيروس، وكذلك أمضي في مطالعة الكتب أو في الكتابة.

ــ الدول النووية المدججة بالاختراعات لم تنفعها

ترساناتها العسكرية، وفشلت فشلاً ذريعاً في الدفاع عن وجودها بكفاءة في هذه المحنة. وفشلت حتى في منع التفشي السريع لهذا الفيروس. وقد يلزمها المزيد من الوقت لإيجاد اللقاح المناسب، ولم يبق أمامها إلا العزل التام للناس والمدن كغيرها من دول العالم الفقيرة، العالم الذي تحول إلى معتقل كبير!

ـ في هذا الظرف الكوروني المربك الذي يمر به العالم تقفز إلى ذهني أسئلة عديدة :

هل هي عدالة السماء جاءت لتعيد ترتيب العالم ؟ هل أن هذا الفيروس هو صنيعة المخابر الجرثومية للدول «العظمى» للفتك بالشعوب لمصالحها الذاتية فانقلبت المسألة عليها ففتك بها الوباء؟

والعالم يعيش في معتقل كبير ينتظر الموت خارج بابه ، ألا يتذكر حقوق الشعوب المضطهدة في أرجائه كلها مثل فلسطين وسوريا وليبيا واليمن وغيرها من الشعوب والأقوام المغلوبة على أمرها؟

على العالم كله ، والدول التي أثرت وتقدمت على وجه الخصوص، أن يعيدوا النظر في حقوق الإنسان أينما وجد.

فراس حج محمد. كاتب. فلسطين :

على البشرية أن تتعلم الدرس .

ـ لا شك في أنها كانت مربكة، وبصورة مرعبة جداً، كل شيء قد تعطّل فجأة، وصارت البشرية وجهاً لوجه مع عدو غير تقليدي كانت تتخيله في الروايات وأفلام الخيال العلمي. هي بالفعل هستيريا، لأنها أفقدت الجميع اتزانه وعقله، فالعلم في تخبّط والسياسة في تخبط، والنظام العالمي أو التنظيم العالمي للدول والقارات والحركة صارت على المحكّ، هذه الهستيريا أكلت الوقت، وصارت الأوقات كلها واحدة، لا فرق بين صبح ومساء، الكل انزوى إلى البيوت كأننا كائنات مذعورة، يتربص بها الموت إن خرجت. هستيريا وضعت سيناريو نهاية العالم بين يدي البشر، كأنها المحطة الأخيرة للبشرية.

ـ أدخلتنا هذه الجائحة في مساءلة المفاهيم

• هل صدمك هذا الفايروس؟ وإلى أي حد ؟

الأساسية في التفكير البشري، بعد أن تهاوت الحدود بين الخيالي والواقعي. ما هو الخيال؟ إنه أمر متصور في الذهن لا يتوقع حدوثه، كان مفكَّراً فيه، والخيال أيضاً لا يتوقع أحد أن يحدث. ما حدث واقعي وحقيقي، إذن تهاوت كل الأخيلة، وجعلت الخيال الأدبي والعلمي في مأزق، فإذا كان الواقع مرعباً إلى هذا الحد، فكيف سيصنع الخيال؟ وما هي مادته التي سيُصنع منها؟

ـ لقد أعادت هذه المحنة العامة العالمية الكثيرين إلى أعمال أدبية، وأفلام سينمائية سابقة، وأخذوا يتفرّسون فيها، ويعيدون تحليلها لعلهم وجدوا نبوءات كانت محتملة في تلك الأعمال، هذه إحدى علامات الانهزامية التي مُني بها العقل البشري العلمي المتطور الذي يأخذ البشرية إلى الأمام، فإذا به يأخذها إلى الخلف عقوداً. أصابنا الفيروس بنوع من الردة العقلية لأنه أصاب العقل بالشلل التام على ما يبدو.

هل كنا نتخيل المدينة الحديثة من المدن العالمية مثل لندن أو باريس أن تخلو شوارعها من المارة ليلاً أو نهاراً؟ هل كنا نتصور أن تغلق دور العبادة أبوابها في وجه المؤمنين خشية الموت، وتتحول الطقوس الدينية إلى عبادة إلكترونية؟ هل كنا نتخيل أن يلتزم ثلاثة أرباع العالم الحجر الصحي المنزلي. لقد تم هذا بسلاسة وبسرعة تفوق قدرة الخيال على إنتاجه لو تم التفكير بذلك الأمر قبل وقوع هذه الجائحة.

ـ كأي شخص يسكن هذا العالم، مررت بجميع ما مر به الآخرون، لم أصدق أولاً، وذهبت إلى التفكير بالحرب البيولوجية، وحضرت نظرية المؤامرة، والصراع الاقتصادي، أرجعني هذا

الفايروس إلى التلفاز، وسمرني أمامه لساعات طويلة، أستمع لأخبار هذا العدو الذي اكتسح شيئاً فشيئاً العالم. ربما ما صدمني في هذا الفايروس هو العجز العلمي عن مواجهته حتى هذه اللحظة، وأن العالم غداً لا حول له ولا قوة تجاهه على الرغم مما نسمع من تقدم في المجال العلمي. إنها كانت صدمتي الحقيقية أن العالم يواجه فايروسا بأدوات وقائية بدائية، عرفتها البشرية منذ ألفي سنة، (النظافة، والحجر المنزلي).

ـ أظن أن البشرية فشلت في الدفاع عن وجودها وفشلت فشلاً ذريعاً أيضاً، وصارت المنظومة القيمة تحت المساءلة في بلدان الكثيرة، لقد اكتشفت على نحو مفاجئ أن البشرية لم تكن تعمل لصالحها، تهاوت أنظمة صحية كبرى في العالم، الناس تموت جماعات ولا أحد يستطيع تقديم المساعدة، يترك الأشخاص لأقدارهم هكذا دون أن يكون هناك قدرة على الإنقاذ. صرنا نرى الفرح الكبير وعمل الحفلات الصغيرة المبهجة لكل شخص خرج متعافياً من الفيروس. كأنّ انتصارنا بواحد سلم بفعل القدر من الفايروس انتصار كبير، فليس من السهل أو هكذا تخيلنا أن تتفلّت نفس من الموت في هذه الجائحة الكبرى.

ـ ربما سأتحول إلى حكيم بفعل الفايروس وأنا أتحدث عنه، وأجيب عن هذا السؤال، فهل أقول إن على البشرية أن تغيّر من نظرتها للعالم؟ أم علي أن أقول إنه يتوجب على البشرية أن تتوحد إنسانياً، وتكفّ عن الحروب، وتكديس الأسلحة، بل تعمل على تفكيكها، هذا المخزون من الأسلحة قادر على إفناء البشرية في وقت قياسي أسرع من امتدادات هذا الفايروس. على رؤساء العالم أجمع أن يعوا أن هذا الكوكب منحة إلهية من العار أن نغرقه في الحروب وأن نسعى إلى تدميره. لعل رسالة الفايروس البليغة هي أننا جميعا شركاء حقيقيون في هذا الكوكب المدعو الأرض، وعلينا المحافظة عليه، وعلى أناسه، وأن نكف عن استعمال القوة لإفناء بعضنا بعضا، فقد يأتي ما هو أقل شأناً من السلاح النووي ويهزمنا جميعاً، فنتوحد أمام عدو لا نراه، كما فعل فايروس كورونا _كوفيد 19 المستجدّ.

د. نبيل طنوس. كاتب. فلسطين.

مهرجان الظنون.

ـ في البداية أصابتني الدهشة وتساءلت حول ما يحدث. أولاً قلت إنها محاولة أصحاب رؤوس الأموال لزيادة سيطرتهم على البشر، وثانياً قلت لربما هو سلاح بيولوجي وفقد العلماء السيطرة عليه في المختبرات وقررت أن أعزل نفسي في البيت خاصة والدي الذي عمره 92 سنة يعيش عندي واضف إلى ذلك أولادي وأحفادي. أعتقد أن سبب الهستيريا كانت تصريحات القادة السياسيين وخاصة بنيامين نتانياهو الذي استغل الفرصة للسيطرة وللاستمرار في الحكم. كلامي هذا عاماً في اسرائيل، أما المجتمع الفلسطيني في اسرائيل لم يأخذ الأمور بجدية في البداية حتى بدأت تنتشر الأخبار عن الوبأ. اليوم بعد الأخبار عن دير الأسد و قضاء عكا بدأ الناس يتعاملون بجدية مع الموضوع.

ـ حقا، قلت في نفسي أن ما يحدث يشبه الافلام: لا مسارح، لا سينما، لا صلاة في المساجد والكنائس، لا قاعات رياضية، لا أفراح ولا أتراح إنما اقتصرت على أعداد قليلة، صراحة من يسير في شوارع المدن ينتابه الخوف والفزع. تصور أنك تسافر من الجليل إلى القدس تصادف ثلاث أو أربع سيارات في الطريق لا أكثر. أما بالنسبة لتحقق الخيال العلمي لقد تحقق أكثر من مرة.

ـ لم يصدمني كثيرا فكانت معلومات كثيره حوله وحول شبهة بالإنفلونزا فقلت في نفسي، كما قلت سابقاً إنها محاولات للسيطرة خاصة وأن المال والأخلاق لا يجتمعان كثيراً واصحاب رؤوس الأموال همهم السيطرة.

ـ كانت محاولات كثيرة ولكنها لم تكن كافية. من يصل إلى القمر وإلى الكواكب الأبعد كيف

لا يستطيع الدفاع عن وجودها؟.

ـ نعم، يجب التكثيف من تنمية المفاهيم الأخلاقية في البيوت والمدارس والنوادي وغيرها.

سهير المصادفة. روائية. مصر:

أخطر من الحرب العالمية.

ـ أثبتت أنها الأفدح والأخطر والأهم حتى من الحرب العالمية التي لم نعاصرها، فهو ضرب من الخيال أن تبقى المباني والجبال والشوارع والبحار وحدها دون البشر.

ـ لقد تحقق بالفعل، وما من شيء في العالم يحدث إلا بعد أن يمر على قريحة المبدعين أولاً، مثلما رأينا حين تنبأ بعضهم بالصعود إلى القمر والزلازل والفيضانات وخراب الكرة الأرضية وعدم صلاحيتها للحياة بعد حين، نعم المبدع يسبق الجميع بما فيهم العلماء.

ـ نعم، إلى حد كبير، رغم أنني كتبت في معظم رواياتي عن خطورة الكائنات الضئيلة اللامرئية بالعين المجردة التي لا هي حيَّة ولا هي ميتة، إلا أن رؤية شوارع القاهرة التي لا تنام ليلًا فارغة أرعبتني.

ـ لا. طبعا، وهذه هي الصدمة الكبرى، فلقد استعرضت البشرية كل قوتها وجبروتها وعضلاتها النووية وما تمتلك من تقدم علمي وتكنولوجيا حديثة ولكنها لم تنتبه إلى خطورة أكثر الكائنات ضآلة!

ـ ربما أعاد إلى الذاكرة بعض رسائل المبدعين المهمة عبر تاريخ البشرية الإبداعي، مثل فيلم الطيور لألفريد هيتشكوك مثلًا! وربما سيعيد ترتيب السلم المجتمعي لتكون الأهمية للمفكر والعالم والمبدع ولأصحاب الخيال الجامح الذين طالما حذروا البشرية من جبروتها وجشعها اللانهائي للقوة والسيطرة على الطبيعة وإيذائها.

عزيز عرباوي. ناقد. المغرب: إحساس الصدمة.

ـ أولاً وقبل كل شيء، يمكن تحديد الهستيريا من خلال ما سلوك الإنسان وأفعاله وكلامه وتهافته في كل شيء، ليصل به الأمر إلى السقوط في المحظور والمحرم المجرم، وهذا بالفعل ما عشناه في العديد من البلدان على مستوى العالم، سواء كانت بلداناً متقدمة أم كانت غير ذلك. بل إن الأمر زادت حدته في بلدان كنا نعتقد حتى وقت قريب أنها تضم شعوباً واعية متطورة على مستوى الفكر والسلوك، فإذا بنا نصطدم بما أقدمت عليه بعض هذه الشعوب، أو على الأقل فئات منها حتى لا نسقط في التعميم، من سلوكيات لا حضارية وأفعال يندى لها الجبين، مما أكد لنا بالملموس أن الوعي لا يرتبط بالمظاهر الخداعة بقدر ما يرتبط بالسلوك اليومي والتعبير الثقافي في الواقع فعلاً لا قولاً. وثانياً، وهو الأهم، مادام كل شيء صار واضحاً للجميع فالمستقبل كفيل بفضح أشياء كثيرة كانت من قبل خافية على السذج في العالم الذين يصدقون كل شيء يأتي من وراء البحار من العالم (المتقدم).

إن هذه الهستيريا التي مازالت قابلة للتطور، كفيلة بفضح العديد من السلوكيات البشرية وحقيقة الإنسان اليوم، والذي أصبحت كل أفعاله أو أغلبها مرتبطة بالمادي على حساب المعنوي الذي يفرض عليه قبول الآخر والاتصاف بقيم الإيثار ونكران الذات وغيرها من القيم الإنسانية الغائبة اليوم.

ـ إن ما عشناه منذ أسابيع في أغلب بلدان العالم التي اتخذت قرار الإغلاق العام والحجر الصحي، بيَّنَ بوضوح مدى هشاشة الإنسان وفشله في مواجهة أحقر المخلوقات وضعفه أمام جبروت فيروس لا يُرى بالعين المجردة، كما فشلت علومه واجتهاداته ومختبراته العظمى التي ساهمت حقاً في تحليل العديد من الظواهر الطبيعية وغير الطبيعية ونجحت في مواجهة أعتى المشاكل والصعوبات التي اعترضتها. لكن هذا الفيروس الأخير (كورونا) أسقط كل المحاولات في إيقافه أو التقليل من مخاطره على الأقل، مما جعل الكثير من الفئات التي تؤمن بالخرافة والدجل الدخول على الخط وتحليل الأمور على هواها وحسب ما تؤمن به من خوارق خرافية وأفكار متخلفة ما أنزل الله بها

• البشرية النووية، المدججة بالاختراعات، هل ترى أنها دافعت عن وجودها بكفاءة في هذه المحنة ؟

من سلطان. ورغم هذه الادعاءات بأنه موجه للكفار والظالمين فإننا نجد أن أول من اختبأ وغادر الساحات بكل أشكالها هم هؤلاء خوفاً على حياتهم، ليتبين في النهاية أنهم أحرص على حياة من باقي الفئات الأخرى.

لقد ظهرت في الأفق مئات التحليلات الغبية، وآلاف الأفكار المثيرة للاشمئزاز، خاصة على لسان بعض من يدعون التدين، فأرجعوا كل شيء إلى غضب الله وما هو بغضبه، أو أرجعوه إلى فساد الناس والشعوب في الغرب وأنه عقاب من الله للكفار، بينما نجد ضحايا كثر من المسلمين وحتى من يدعي التدين ويسقطه على آخرين. أما عن مسألة الخيال العلمي، يمكننا أن نقول إن أغلب الكتابات السردية والأفلام التي أنتجت سابقاً وتنبأت ببعض هذه الأمور كانتشار الفيروسات أو بالحروب العالمية أو بغيرها من الأحداث التي قد تحصل في المستقبل يدخل في مسألة الخيال البشري ومرتبط بمدى قدرته على قراءة المستقبل البشري في ضوء ما يعيشه وما يتعايش معه يومياً من تغير في السلوك والوعي والإنتاج العلمي، بل بمدى فهمه للتحول الاجتماعي على مستوى التفكير العلمي لدى هؤلاء الكتاب المبدعين. طبعاً، وقعت الكثير من الأحداث التي تنبأت بها إنتاجات الخيال العلمي منذ عقود خلت، وهذه الإنتاجات مرتبطة بمدى تطور الخيال العلمي والتخييل الفني لدى المبدعين وكذلك بما يتم تسريبه من المختبرات العلمية والمراكز البحثية الاستراتيجية في الغرب.

ــ لا يمكن لأي أحد، كيفما كان إيمانه بالقضاء والقدر أو إيمانه بقدرته على مواجهة المستجدات التي تحصل للبشرية، إلا وأن يصدم أمام هذه القدرة الهائلة لهذا الفيروس على الانتصار، ولو مؤقتاً، على كل المحاولات العلمية في مواجهته والتقليل من أضراره، فبالأحرى هذا العبد الضعيف. نعم، أصابتني الصدمة، نظراً أولاً لمفاجأته للعالم وقدرته الكبيرة على الانتشار بسرعة قياسية. وثانياً، لما تركه من أعداد مهولة من الضحايا، رغم أن الأرقام المصرح بها مشكوك فيها وأنها أكثر من ذلك بكثير، وتأثيره الكبير على الاقتصاد العالمي على أكثر من صعيد. هذا كفيل بترك الصدمة لنا جميعاً، ودفعه إيانا إلى أخذ الحيطة والحذر مما قد ينتج عنا من تهور أو اعتداد بالنفس.

ــ أمام جبروت هذا الفيروس وقوة انتشاره لم تستطع أية أمة أو أي بلد أن يواجهه سواء بتفوقه العلمي أم بقوته العسكرية. ولأول مرة في التاريخ نرى خروج الجيوش وانتشارها بالشوارع والطرقات لمواجهة كائن غير مرئي، وهذه مفارقة عجيبة في زمن العجائب. صراحة، لا يمكننا أن نفسر ذلك بالعلم، بل في الوقت نفسه، يمكننا أن نحلل هذه القرارات (انتشار الجيوش) بمنطق سياسي، إما خوفاً من ردّ الفعل الشعبي الذي قد يلجأ إلى ما لا يحمد عقباه فتنفرط الأمور من بين الحكومات، وإما تفكيراً في ردّ الاعتبار للحكم الأمني الذي بدأ يفقد البوصلة بعد تحقق العديد من الثورات والتمكن من تغيير الأنظمة في الكثير من البلدان في العالم.

ففي أغلب البلدان رأينا أن الجيوش اكتفت فقط بالانتشار ولم تقدم شيئاً يذكر اللهم

المساهمة في حفظ الأمن العام وإغلاق الطرقات الرئيسية، مع بعض الاستثناءات في بعض البلدان التي انخرط فيها الجيش في مساعدة وزارات الصحة وأقام معسكرات لتقديم التطبيب للمصابين. على العموم، لا يمكننا أن نعمم، أو نتسرع في الحكم على ذلك، في ظل غموض العديد من الأشياء عنا، وسيطرة الإعلام العالمي الغربي على المعلومة الذي يتحكم فيها وينشر ما يراه مناسباً ويخدم الأجندة السياسية والاقتصادية للقوى العظمى. إن انتشار الجيش والقوى الأمنية لم يحلّ دون انتشار الفيروس وحصده للآلاف ومئات الآلاف من الضحايا، وحتى الأبحاث العلمية في المختبرات مازالت عاجزة عن إيجاد لقاح له أو على الأقل دواء قوي لمعالجة المرضى وتقليل عدد ضحا يا ه . وبالتالي، فلا الأسلحة النووية ولا الاختراعات العظيمة تمكنت من ذلك، ولا حتى ما يعلن عنه إلى حد الآن يمكنه أن يقنعنا بفشل البحث العلمي عن الوصول إلى نتيجة مرضية أم العكس.

ـ لا يمكننا أن ننكر أن فيروس كورونا اليوم قد وضع البشرية في امتحان صعب، ورفع من مستوى التحدي لديها، سواء على مستوى الوعي بحقيقة الوجود الإنساني أم على مستوى ماهية الإنسانية ومدى استجابتها لشرط الوجود والهدف منه. فكل من يعتقد في أن الإنسانية وبالتالي العالم سيكون هو نفسه وبالصيغة نفسها ما بعد كورونا فهو مخطئ. لا محالة ستتغير الكثير من الأشياء، وستتغير الكثير من المواقف والسلوكيات وتظهر في الأفق العديد من المظاهر في إطار من الشفافية والوضوح سواء في الغرب أم في الشرق، لأن الجميع أمام امتحان كبير فإما النجاح فيه وتفادي السقوط والنهاية وإما انتظار الفشل والموت الفجائي للعديد من الفئات داخل كل مجتمع وبلد.

د. سرمد التايه. كاتب وأكاديمي. فلسطين :

مجرد فايروس وسننتصر عليه .

-بالبداية كان الاستهتار سيد الموقف، ثم ما لبث أن بدت الجدية تدخل حيز التنفيذ. هكذا دائماً في كل جديد، ينتابه الاستهتار ليس لضعف شأنه إنما لضعف من كان هذا الطارئ طارئاً عليه، ولأنه لم يستطيع مضغه وهضمه جيداً فانه لا يبالي به ويحاول التقليل من شأنه أو استفراغه بأسرع وقت ممكن.

وعندما تتضح لديه الفكرة ويصبح أكثر وعياً بها، وفهماً لمكنوناتها، فإنه عندئذ قد يتحول الى حالة المبالغة كما في أحداث الكورونا، أو أن يعمل على تفحص وتشريح أعضائها ليكون أكثر اطلاعاً وخبرة بما جاء بها. وشتان بين الحالتين

-بالفعل، فإن خلو الساحات ومراكز العبادة والمراكز السياحية والترفيهية من المارة وأصحاب البحث والاستباط عن الحياة بين مجريات الحياة هو ضرب من الخيال، ولم يكن يتوقع بهذه الصورة الجنونية لا في الاحلام ولا حتى في الأفلام ولا بمجريات ما كتبته الأقلام! فأفلام الخيال التي طالما شاهدنا وعشناها وتفاعلنا مع احداثها كأنها حقيقة لا مجرد خيال لم تفكر بيوم من الأيام أن تصل إلى ما وصلت إليه وبتنا نشاهده بأم أعيننا مبهورين سلباً بما كان وما حصل.

-لم يصدمني هذا الفايروس كفايروس وتركيبة فايروس؛ فهو بالحقيقة لا يحسب على

• أخيراً، هذا الفايروس الرهيب، هل همس في آذاننا بشيء ؟))

الكائنات الحية. فأنا وبحكم اطلاعي على علم الفيروسات وطبيعتها بحكم دراستي لعلم البيولوجيا أعلم جيداً أنه مجرد غلاف بروتيني فيه مادة وراثية فحسب! وهو كائن اعتدنا على أمثاله باختلاف اشكاله وتنوع ما كان يأتي به من أمراض على مر العصور. حاربناه دائماً وانتصرنا عليه أحياناً، فيعود وينتصر علينا، ثم نعود وننتصر عليه والتاريخ شاهد على ذلك .

إلا أن الذي ادهشني في هذا الفايروس عناده وسرعة انتشاره وقدرته على أحداث العدوى، رغم أنه من نوعية RNA الضعيفة، ولكن أنا بحقيقة نفسي مدرك بالنهاية أنه مجرد فايروس وسننتصر عليه ان شاء الله حتى ولو جاء نتيجة مؤامرة من هنا أو هناك أو كان حدثاً ربانياً محضاً.

-على العكس تماماً؛ فإن الأمم المتسلحة بالعلم والبحوث العلمية المتنوعة ومهارات القرن الحادي والعشرين وفنون التكنولوجيا الذكية والولوج إلى الفضاءات الرحبة واتقان علوم الطب الحديث كشف للأسف عن هوية هذه الأمم، وأظهر عورتها وهشاشتها وضعفها وخورها أمام كائن ليس بحي بحجم 125 نانوميتر.

-لم يهمس هذا الفيروس في آذاننا فحسب؛ بل إنه وقف أمام نواظرنا وقفة صلابة وتحد: إن يا أيها البشر المتغطرسون، أيها الناس الغافلون، أيها العالم الظالم، أيها العلماء والحكماء والملوك والامراء والاغنياء والفقراء وكل الطبقات والشرائح البشرية بمختلف توجهاتها وعقائدها وقومياتها وجغرافياتها وتاريخها وحضاراتها وعروقها واجناسها، إن هلموا إليّ، وقاوموني إن استطعتم إلى ذلك سبيلا. أنا جندي من جنود الله كشف بي مدى ضعفكم وهزلكم وقلة حيلتكم فأصبحتم أمامي عاجزين هاربين منسحبين من مواجهتي وبيدكم سلاح واحد لا غير؛ سلاح الاختباء بمقولة اصبحتم تتغنون بها « إن ابقوا في بيوتكم» .

محمد عطية محمود .

ناقد وأديب. مصر: مسافة الافتراس الخطيرة .

ــ في الواقع أن المسألة تخطت مفهوم الهيستريا بكثير، ما خلق حالة من الهوس وفوضى التفكير والهروب الكبير من كل شيء ومن كل المسلمات التي كان يؤمن بها العالم في قشرته الهشة التي انهارت أمام كبرياء هذا الوباء المصنوع الذي تواجهنا به الأيديولوجيا المفترسة.. الذي جعل البشر أعداء متنافرين متباعدين يخشى بعضهم من بعض، وإن كان الظاهر أنهم يحافظون على بعض، بالمباعدة أنا أسميها مسافة الافتراس التي سوف تعمق مشاعر سائدة كانت تحت تلك القشرة الهشة التي تطايرت بفعل الوباء/ الصنيعة/ الفزاعة التي أرى أنها سوف تستمر كثيراً، أو ستنمو لها بدائل مرعبة، فقد وقع العالم تحت سيطرة سيناريو الرعب، وإرهاب من نوع جديد..

ــ للأسف نحن وصلنا لأسوأ من الخيال العلمي، وما تحيكه أفكاره المنحازة للمصالح والأيديولوجيات، الهوس بالشحن والتعبئة لأفكار مسمومة بدأ منذ زمن بعيد.. لا نخشى الآن أن نقول أن الكابوس الذي نعيش فيه هو نتاج أحلام السيطرة.. كتبت في مقال لي عن حالة استخدمها الأدب الغربي في رواية لسومرست موم، قام العلم فيها بإعطاء السم، وأعطى له الترياق/ المصل المضاد لمن دسه وتشارك فيه لينجو.. ولا ننسى الأفلام والسيناريوهات التي كرست للجمرة الخبيثة وغيرها، ولا ما يتناثر عن أسباب ما حدث من تسريبات وكواليس، في عالم خاص لا يزال يحتفظ بأسرار الوباء، والعلاج المحتمل

ــ لابد أن تصدمني تداعيات الفايروس، وسيناريوهاته لدرجة الرعب على البشرية التي لا ذنب لها على خلفية صراعات كبرى للهيمنة، فالمدرك لا بد أن يقرأ المشهد، وإن كان من المفترض أن يحترز له، لكن المسألة تخطت ذلك، هو يخاف لأنه يعلم ما قد لا يعلمه المتساهل أو المتهاون أو غير المكترث.. أزمتنا في تعاملنا الثقافي مع الأزمة كشعوب تعيش على

هامش كل ذلك أننا لا ندرك إلا بعد حدوث الفاجعة، وذلك مما يؤلمني لأن الوعي هو أزمتنا الحقيقية، وسلوكنا هو الفيصل والذي لابد وأن يتحكم فيه عنصرا الوعي والثقافة، فالمواجهة لا بد أن تتسلح بهذين العنصرين ليكون الالتزام شريعة حياة، والقدر في النهاية بين يدي الخالق.

ــ لا بد أن تدافع بأي شكل وبأي قوة، وهذا دورها الدفاع والدفاع، لكنها مثل العامة لم تحترز، بل ساهمت في ظني في استفحال أزمة الفيروس ونشره، فكلمة المستجد في حد ذاتها عليها آلاف علامات الاستفهام والشك، فطالما علمنا أنه مستجد، فهو موجود ومحتمل، ولابد وأن يكون هناك سبيل لمواجهته والاستباق لذلك، ولا يترك ليتنفس ثم لينتشر ثم لنبحث عن طرق الإنقاذ، وتصير اللهفة على العلاج بل والمواجهة سمة المتضرر وسمة العالم الذي يدرك قدوم تلك الجائحة

ــ همس في آذاننا بالكثير، وواجهنا بما هو أكثر، وطرح المئات من الأسئلة، عن كل شيء يدور في فلك وجودنا، ولا حصر لما نجلد به أنفسنا، ولكن... (أيضا)... هل يجد آذانا تظل مدركة على الدوام، أم سيصيبها الصمم بعد الاعتياد المرير الذي لا نتيجة له إلا الفناء..

زياد جيوسي. كاتب واعلامي . فلسطين :
مجرد تضخيم إعلامي .

ــ أراها تضخيم اعلامي يهدف لتحقيق مصالح خاصة لرأس المال العالمي، فالأوبئة لم تتوقف عبر التاريخ، ولكن التضخيم الاعلامي خلق رعباً على مستوى العالم.

ــ ما حصل هو بعض من الخيال السينمائي وليس العلمي، وهو قد تحقق من خلال قناعتي أن الفايروس هو صنيعة مختبرات لتحقيق أهداف سنراها بعد هذه الجائحة العالمية بالسيطرة على العالم وضرب الاقتصاد العالمي ليكون المجال واسعا للنخبة المالية التي تملك المال.

ــ لا لم يصدمني، فقراءتي للتاريخ جعلتني مطلع على الأوبئة التي كانت تظهر وتختفي مثل الطاعون والكوليرا والملاريا، والفارق أن اوبئة العصر نتاج مختبرات رأس المال والسابقة نتاج للطبيعة.

ــ كان لا بد من تضخيم الحدث وشل العالم وتحقيق الأهداف قبل اعلان وجود المضاد والعلاج، وبالتالي تحقيق ارباح بالمليارات لشركات الدواء الرأسمالية.

ــ نعم.. علينا ان نرى أين مصالحنا ونقاوم سياسة السيطرة لرأس المال العالمي على مقدرات حياتنا .

جميل السلحوت. كاتب وروائي. فلسطين :
لم يصدمني كورونا .

ــ هي ليست هستيريا بمقدار ما هي خوف على الحياة، أو هروب من الموت، ومعروف تاريخياً أن هناك فيروسات قاتلة تنتشر في الكون بمعدّل مرّة كل مئة عام، وآخر مرّة أصاب الفيروس الذي أطلقوا عليه الإنفلونزا الإسبانية عام 1918م، وحصد أرواح ما لا يقل عن خمسين مليون انسان قبل أن يتلاشى، وفي العام 1927م وبعد زلزال مدمّر ضرب منطقة الجرف الإفريقي انتشرت الكوليرا، وحصدت أرواح أكثر من خمسة ملايين إنسان غالبيّتهم من مصر وإيران، ومنهم عشرات الآلاف من بلاد الشّام ومنها فلسطين. وفي خمسينات القرن العشرين كان فيروس شلل الأطفال والسّل مخيفاً.

لكن كورونا هي الوباء الذي عايشه أبناء هذه العصر، ويلاحظ أنّه تمركز في أوروبا وأمريكا أكثر من غيرها، بسبب تشابك العالم، ولكثرة سفر وانتقال سكان تلك البلدان.

ــ الأوبئة ليست خيالاً بل هي واقع، والتزام النّاس ببيوتهم ناتج عن خوفهم من عدوّ لا يرونه لكنّه يفتك بهم.

ــ لا لم يصدمني هذا الفيروس، فأنا في

مرحلة عمريّة 71- سنة-تساوت فيها الحياة مع الموت» مع أنني أعشق الحياة ما استطعت اليها سبيلا، وكما قال الشّاعر سميح القاسم» أنا لا أحبّك يا موت، لكني لا أخافك»، لكن ما أضحكني من باب «شرّ البليّة ما يضحك»، هو عفن الحضارة الرّأسمالية، التي تريد التّخلص من المسنّين بعدم تقديم العلاج لهم، لأنّهم لم يعودوا منتجين.

ــ حسب متابعتي للأحداث فقد تعاملت بعض الدّول الكبرى مثل الصّين وروسيا بحكمة مع الوباء، على عكس أوروبا وأمريكا، وترامب بصفته رئيس الدّولة الأقوى في العالم، تعامل بجهل وغباء مع الوباء، لأنه يتعامل مع الأحداث كصفقة تجاريّة، ولا تهمّه حياة البشر ومن ضمنهم شعبه بمقدار ما يهّمه الاقتصاد والمال.

ــ نعم جائحة كورونا سيعقبها نظام عالميّ جديد، ستتزعّمه الصين كأقوى قوّة اقتصاديّة في العالم، وسيتراجع الاقتصاد الأمريكي بصورة ملحوظة، وهذا قد يكون سبباً كافياً للتّغوّل الرّأسمالي بقيادة أمريكا لشنّ حرب على الصين قد تتّسع لتكون حربا كونيّة ثالثة.

خالد الجبور شاعر وكاتب . فلسطين :
ردة فعل طبيعية .

ــ لا أظنها هستيريا بقدر ما هي ردة فعل طبيعية، فالحضارة لم تعد مستعدة لتقبل هكذا جائحة دون السيطرة عليها بأسرع وقت .

ــ تحقق ما ظننا أننا تجاوزناه، وأننا قادرون على السيطرة السريعة على الأوبئة .

ــ طبعا يشكل الفايروس صدمة قاسية لكل من أحسن الظن بقدراتنا البشرية، فها نحن نعجز عجز الأسلاف عن مواجهة فايروس خبيث .

ــ همس بالكثير، فها نحن نتذكر الأوبئة القديمة التي سيطرنا عليها بأمصال التطعيم، وها نحن نقف جميعاً أمام التحدي، متساوين في البلاء، آملين بالخلاص منه بأسرع ما يمكن .

صابرين فرعون. روائية وكاتبة. فلسطين :
عصر سيطرة الخوف .

ــ تم التعامل مع الكورونا بردود أفعال متباينة، فالبعض سيطرت عليه حمى الشراء وكأنه مقبل على حرب ولا يعلم متى ينتهي حظر التجوال وتتاح له فرصة التموين، وآخرون أصابتهم حمى النظافة والتعقيم الزائدين عن الحد، والخوف هو المُحرك في تهويل وإشاعة معلومات غير صحيحة تهدد أمن الفرد والمجتمع .

ــ سيطر الخوف والقلق على الأشخاص المُشككين بالقدرة الاستيعابية في المستشفيات وذاع الرعب في نفوس كبار السن والمصابين بأمراض الجهاز التنفسي باعتبارهم الأكثر عرضة لظهور أعراض المرض وضعف الجهاز المناعي تجاه المرض. سيطر الخوف والقلق على الأسر المتضررة من القروض التي تطول مدة استحقاقاتها الشهرية وسيطر الخوف على المصاب بالمرض من حالات التنمر التي سيتعرض في حال إعلانه وإعلام أسرته بحالته الصحية. سيطر القلق على المحللين السياسيين والاقتصاديين من الأزمة المالية الخانقة وتبعيات وخسائر الدول في تقديم برامج التكافل الاجتماعي والطرود الغذائية وتعويضات العمال المُهددين بوقف العمل. ورغم سيطرة فكرة التكافل الاجتماعي ظهر جشع التجار .

ــ حالات الشفاء تثبت قدرة العلماء على وقف انتشار المرض.

ــ ليست صدمة من الفايروس وإنما الرهان على وعي الناس بأساليب الوقاية الحذو.

ــ نعم والدليل حالات الشفاء التي برهنت أن القلق والخوف عدوا المجتمع.

ــ أظنه يختبر قدرتنا على الالتزام بالإرشادات الوقائية والتأمل في رحلتي الحياة والموت.

بعد كورونا والحجر الصحي ..

الشعر الشعبي يرفض الاحتجاب

الشعر - وخاصة الشعبي منه كونه في حلٍ من المنصات والشكليات، وبحكم قدرته الفائقة على التعبير الفوري عن يوميات الناس وهواجسهم العارضة - كائن متمرد بطبيعته، يرفض أن ينصاع، ويرفض أن يحتجب، ويرفض أن يصمت، ويرفض أن يخاف، ويرفض أن يغض البصر، ويرفض أن يبتلع لسانه ويسكت .

هكذا علمنا الشعر، وهكذا كان الشعراء الليبيون وهم يندمجون مع جائحة هذا الفايروس الذي ألزم الدنيا كلها بالبقاء في المنزل، لكنه عجز عن إجبار الأبيات الرائعة للشعراء بالاحتجاب والتواري .

الاذاعي «احميده بوشنة» الذي يملك رصيداً من إعداد وتقديم أنجح برنامج شعبي في تاريخ ليبيا بأكثر من 1200 حلقة إذاعية مسموعة، وهو برنامج «شعبيات»، أبى إلا أن يشارك في ملف هذا العدد عندما قام بتجميع ما كتبه الشعراء حول «كورونا» والحجر الصحي ومشاعر الأبيات عندما يتعلق الأمر بما يشعر به البشر .

احميده بوشنة . ليبيا

الشاعر «سليمان عبدالرحمن الحدوثى» من سكان الجبل الأخضر . جوهرة الشرق الليبي الخضراء، وبالتحديد من بلدة «مسّه» العريقة التي تحتوي كنوزاً من آثار الاغريق لم تنل حقها من الشهرة بعد . «الحدوثي» يفتقد في ظل هذا الوضع من كان يستأنس به، ويدرك جيداً أن نظام الحجر الصحي هذه المرة هو المسؤول الأول والأخير عن فقدانه للوجوه الطيبة التي كانت تخفف من وجعه . فيصوغ بيتاً واقعياً إلى أبعد الحدود .

عزيز من نهار الحجر ما حقّيته
نا نعرفه ما يريد يلزم بيته .

أما الشاعر «مفتاح الفالح» . من سكان مدينة «اجدابيا» ذات التاريخ الاسلامي الرابضة كأسدٍ مقتدر يحرس أطراف «برقة» ولا يغمض له جفن . إن «الفالح» يختار أن يصف نفسه وقد رضخ لقرار الحجر والتباعد الاجتماعي ليلزم بيته ويطيل صحبة اسرته، وهو ما يعبر عنه في اللهجة المحلية الليبية بـ « الواشون»: :

اليوم صاحبك كارس احذا واشونا
فلاس وكساد وخوف ما لكورونا .

ويمضي بموهبته الشعرية الكبيرة في وصف

وتفصيل مشهد التدكس البشري الاجباري في صورة ساخرة ممتعة :

هكي كابى

كساد وفلاس وخوف مانك غابى
هو والوليّه والديار معابى
بعيال وبنات وواجدات اغبونا
والشايب اللى من قبل كان ارهابى
اليوم كرّسه فيروس ملعونا

وهنا، يبدو أن رأس البيت قد استفز قريحة شعراء آخرين، فبادروا بالرد عليه، كما فعل الشاعر « رافع العريبى» عندما قال :

خلّك كارس.
احذا اعويلتك وابقا عليهم حارس.
من يومن العام عطيب خانه مارس
حتى صاحبك كيفك اثقال ديونا
لابس العقل الدرس باقى دارس
وفى كم صاحب خايبات ظنونا
ولا عد نشاط اليوم فيه يمارس
مالخوف مالمرض مسكين راقد عونا
واوقات ينتعش ويهم همّة فارس
ويلهد ولاكن ينكسر بسطونا.

ويبدو أن الحلقة تكبر بمشاركة شاعر آخر في نفس البيت، فها هو الشاعر «فرج الخضر» من مدينة «بنغازى» درة الشرق الليبي وأكبر مدنه. إنه يصف حالته هو الآخر في ظل الحظر، لكنه هنا يمارس دور الحريص على تنفيذ تعليمات الأطباء، داعياً غيره إلى الالتزام به حمايةً للصحة وخوفاً من المجهول :

قاعد كازى
لانرد لا نرعا غلم واحطازى
وفالحوش قاعد فالعويل انعازى
ويحمّر اللى ننهاه فى عيونا
وكساد وفلاس امعكرات مجازى
ودنيا اتخوّف بالوباء مشحونا
واليوم فارضين الحضر فى بنغازى
ونا انطبقه والصّايبه مضمونا
راه الوقايه خير يللّى هـازى
تخلّى الناس الحاجره مصيونا
ولاعد انخش افروح لا المعازى
نين يستريح الكون من طاعونا
وبالك انعيشوا فالحياه فنطازى
فى ليبيا فوق ارضها الحنونا
اللى الحق مالباطل عظيم يوازى
طالبينّه يحيد الوبا من كونا.

وإلى هنا يسكت الشعراء عن راس البيت السابق، ليبدأ الشاعر «حمد بوالفقيه» من مدينة «البيضاء» التي تتربع على قمة الجبل الأخضر فيشارك بهذا البيت متفائلاً مستبشراً بالقادم الأحلى :

أيعدّن أيام الحجر والتسكيره
والسّاع تنفرج عالوطن يكثر خيره .

ومن «مسة» يعود شاعر شهير هو «الشوّيب محمد الصيفاط» ليرسل وصاياه منطلقاً من حس وطني يخف من الإهمال أن يلد وباءً لا قبل لنا به :

مفروض انك تلزم بيتك
نا وصّيتك
كان تخاف على ذرّيتك

أما الشاعر «جمعه محمود بوريه» من قرية «قندوله» الرابضة في خضرة الجبل الأخضر فيشارك في ملحمة النصح بهذا البيت الذي يدعو للأم الكبيرة مبتهلاً إلى الله :

يا رب يا عالم مخافي كونا
نجّى ليبيا الحنون مالكورون

أما الشاعر «سالم البدرى» فيجنح بالمبنى إلى المعنى المختلف، وينتهز فرصة كورونا الفايروس ليهجو به آخرين مصابين بكورونا من نوعٍ لا يقل خطورة :

بلا كورونا ..
اموات غير ماهى فالوطا مدفونا ..
اهناك ناس منتهيه .

ومن «الأبيار» على مشارف مدينة «بنغازي»، يشارك الشاعر «عبد الباسط عبدالله المسماري» في رأس البيت السابق بهذه الأبيات

التي تستحق أن تُذكر فتُشكر :

متنا ومسّع متنا ..
وحتى الكورونا سامحت ماجتنا
أتبكّى اللى قلبه حجر قصّتنا .. وتخوخم
أوحوا عقولهم ميزونا
شهيق وزفير مغير هى عيشتنا ..
عليما نعوا لخرين ما اذكرونا
هذا حال حيل الناس ياعازتنا ..
فى بلادنا كيف ال أغرب خلّونا
واهناك ناس منتهيه وناس نهتنا .. وحتى
وهى نهايه ناس ماهنّونا .

ومن مدينة «طبرق» على الحدود الشرقية لليبيا مع الشقيقة مصر ، المدينة ذات التاريخ المميز في الحرب العالمية والغنية بشعراءها على مر الزمن، فهاهو الشاعر « سالم خميس العوكلى» يشارك في هذه القصيدة بأبياتٍ جميلة تستغل هي الأخرى وصف طبيعة الفايروس ليستعيرها بعض البشر :

موتا وهم حيين ..
من غير الكورونا ريتّم وجدين
اهناك ناس عايشه ومالهم شى عين .. بين
الخلايق قاعده مركونا
كنادر ايدبّن موش محسوبين ..
لاينهضوك ولا الهم فرتونا
فى ذيل العطابا يشغلوا ماسكين ..
ما انفعوا فى حاجه انفيت المونا
ولا صلاه قاموها ولاهم دين ..
واللى هذا خط اخطاه دون عيونا
هذول الحقيقه شيل شور الصين ..
ينشالوا أنظنّى خيرويفكّونا .

ومن غرب البلاد، حيث مدينة «زليتن» يشارك الشاعر «عبد المولى زيدان» في هذه الملحمة بأبياتٍ مشابهة في المعنى :

أموات ضمايز ..
منهم اللى صاير وياما صاير
فى وطنّا عشنا أيام قهايـر ..
أوحلنا ف قوته عيشنا خلّونا
عالسّلعه نزلنا كى الجيش الغاير ..
طحنا عليه التن والمكرونا
وحطّوا عليه اسعار من يناير
بداية العام أضعاف ماراعونا

ومن «طبرق» يخرج الشاعر «نصر العبس الخايبى» عن سلطة هذا البيت ليأتي بالجديد منادياً الناس ليتخذوا موقفاً واحداً ينحازون به إلى إجراءات المكافحة والوقاية :

اعفونى من تسليم الخد ..
ومد اليد ..
انديروا للكورونا حد

ومن نفس المدينة يسارع الشاعر «سالم خميس العوكلى» إلى تقديم المساعدة متعرضاً للأوضاع الداخلية والعراقيل المختلفة :

اعفونا من بوسة لخدود ..
هذا المقصود ..
وخلوها تسليم هنود
الوطن اينش ابدون احدود ..
وزاد نكد ..
سريب الهجره ما حودد
علثر الطب اللى مفقود ..
سريب ايغد ..
سريب الدوله كى تنشد
ألطف ياربى يالودود ..
انتا السّند ..
أنجدنا ماغيرك ينجد .

ويبدو أن رأس البيت الأخير قد أثار إعجاب الكثيرين ، فهاهو « محمد بالحسن» وهو شاعر آخر من « اجدابيا»، مدينة الشعراء بامتياز :

مغير اعفونا مالتضبيط .. سلام بسيط
.. بهالحجاجات امباسيط
وخلّوها لبلاد تزيط ..
أرعو الهبد ..
اللى ماله حد ولا جد .

ولا يمكن أن نمر بطبرق دون أن ذكر شاعراً فحلاً لا يشق له غبار، وهو الشاعر «عبدالكريم المالكى» الذي شارك في هذه الملحة بهذه الأبيات:

بلكل مالتسليم اعفونا ..
كى ترعونا ..
ديروا نيسه ماتلاقونا
يمكن نقضوا عالكورونا ..
وانجدد ..
التسليمه فيّام أجدد
مالنجع نجوكم وتجونا ..
وانميعد ..
جميع انكان يصير عدد
لاكن هالجّدّه فكّونا ..
منّا سد ..
التسليم ابتضبيط الخد
حتى الفرحه لا تشاركونا ..
وإن لابد ..
التعزايه باهاى تســـــد.

ومما يلفت النظر أن مجموعة من فحول الشعراء الشعبيين يتداولون على معنى بيت، ويتخذون من معنى الحجر الصحي محوراً لا يحيدون عنه وكأنهم يستعرضون مواهبهم الكبيرة في الشعر، فهاهو الشاعر «عبدالسلام بوجلاوى» وهو ما هو بقيمته الكبيرة وهو ينشد :

كارس وما عندى غرض فالكرسه
كيف كرستك من شى جانا حرصه

إن بوجلاوي يستعمل لفظة «كارس» وهي لفظة محلية تعطي معنى «القعود»، اي الكمون والحجر، فيرد الشاعر «عبدالحميد احمد ارميله» وهو ابن القيمة الكبيرة في الشعر «احمد ارميلة»، ووارث موهبته الكبيرة مستعملاً لفظة أخرى هي «لابد» ، وهي تعطي نفس المعنى السابق :

لابد. وما عندي غرض في لبده ..
لبنادم ان مو صبّار تدره كبده .

وكأن استعراض المفردة يصبح تحدياً، فها هو الشاعر «عبدالله بوقبال» يستعمل مفردة اخرى بنفس المعنى :

طامر وما عندى غرض فالطمره ..
مغير امر مالوالى ونا تحت امره

ويرجع «سالم خميس العوكلى» مستعملاً لفظة «القعود» هذه المرة :

قاعد ومانيتى غرض فالقعده ..
وحامل بلا الصاحب وراضى بعده

وهاهو «موسى الرقاص العقورى» يستعمل مفردة «الحجر» مشاركاً بها :

حاجر وما حتى الحجره رايد ..
مغير امر مللّى الكون بيده قايد

ومن «شحات» مدينة التاريخ الضارب في القدم، وهي ما هي باسمها القديم المضيء «قورينا» أو «كيريني» مثلما سماها الاغريق عام 631 ق.م يشارك الشاعر «محمود زايد»

يللّى بالعيال تدور بدرى ريتك ..
على شان وطنك خش والزم بيتك

ولا يمكن بأي حال أن نذكر مشاركة الشعر في هذا الموضوع دون أن نذكر ذلك الحضور الطاغي دائماً لـ« غناوة العلم» ، ذلك اللون المميز من ألوان التعبير الشعبي ، باختزاله وتكثيفه الخارق للمعاني . فهاهو الغناي «سعيد يحى» من البيضاء ينشد :

اينجينا اللى معبود .من داء دواه مازال ما اعرف.

أما «ونيس المذراب» من بلدة «توكره» في الجبل الأخضر :

مرض جديد يطروا فيه أغلب الناس منّا خايفه.

وهذا «فتح الله الحاسى» من «شحات» :

برّام مو معروف امنين والناس من يعضها خايفه.

أما الغني عن الذكر «محمد البزارى» من «قندوله» :

طريولى اعزاز انشدوا واحنا في قبل ناس ينشدوا.

وهذا «فتحى محارب» من البيضاء:

نحجر نريد جت من فوق..فى نيتى على ناس واجده

الطيران في مواجهة الكورونا

رامز النويصري. ليبيا

فلاي بي والضربة القاضية:

في بداية شهر مارس الماضي (2020م)، ومع بداية انتشار فايروس الكورونا (كوفيد 19) (جائحة الكورونا)، أعلنت شركة فلاي بي (fly be) البريطانية عن إفلاسها، وانتهاء حكاية نجاح لم تستمر كثيراً. الأمر الذي كان بمثابة الفأل السيئ لشركات الطيران، وخاصة بعد حصول الشركة على إجازة ضريبية، لم تستطع الصمود وانهارت مع بدايات الجائحة، والتي اعتبرت الضربة القاضية.

هنا نذكر؛ إن فلاي بي أكبر مشغل للرحلات الداخلية في المملكة المتحدة، حيث كانت تنقل نحو 8 ملايين مسافر سنويا من 43 مطار في أوروبا و28 في بريطانيا.

طائرات متوقفة:

كم آلمني كثيراً مشهد الطائرات المتوقفة، وبشكل خاص الطائرات عريضة البدن، للكثير من شركات الطيران، وليست الشركات الليبية بأحسن حالاً، وهي الآلة المصممة للتحليق والتنقل، ويعتمد عليها الملايين في التنقل بين المدن والبلدان، والمساهم الأكبر في حركة النقل والشحن وتدوير عجلة الاقتصاد العالمي، بالرغم من أن هامش الربح في صناعة الطيران ليس كبيراً، مقارنة مع ما تطلبه هذه الصناعة من مصاريف، وما تقدمه من خدمات.

لقد أجبرت جائحة الكورونا، الكثير من الدول على اتخاذ الإجراءات الاحترازية لمنع انتشار الفايروس، وتقليل حركة البشر، الأمر الذي توقفت معه المطارات عن العمل، وبالتالي توقفت حركة الطيران، بالرغم من إن بعض المطارات عادت للعمل لتنفيذ بعض الرحلات الاضطرارية لجلب العالقين ومن في حكمهم، أو لأعمال الشحن الجوي فيما يخص نقل الشحنات الطبية والدوائية، او عمليات الإسعاف.

السؤال هنا؛ هل يتوقف العمل على الطائرات حال توقفها الاضطراري هذا؟:

الجوب؛ لا، فالطائرات حتى وهي متوقفة، فإنها تخضع لمجموعة من عمليات وإجراءات الفحص والصيانة التي تضمن الكثير من الأعمال، أقلها حماية المحركات ومن العوامل الخارجية،

وسد كل الفتحات والمنافذ في جسم الطائرة، إلى أعمال تشكل التشغيل الأسبوعي لأجهزة الطائرة، وتنفيذ أعمال الصيانة مستحقة التنفيذ بالتاريخ.

وهو بند صرف غير مغطى!!

خسائر وخسائر للشركات:

في بداية الأزمة، وتوقف الكثير من شركات الطيران عن العمل، توقع اتحاد النقل الجوي الدولي الـ(أياتا) أن يخسر قطاع الطيران في العالم 252 مليار دولارا من عائداته للعام 2020م، أي ما يعادل ضعف توقعاته السابقة في هذا الإطار التي بلغت 113 مليار دولار.

وقد صرح مدير عام الـ(أياتا)؛ ألكسندر دو جونياك، أن هذه الأزمة (أكثر الأزمات عمقاً التي مرت على قطاع الطيران على الإطلاق)، موجهاً الدعوة إلى الحكومات لتقديم المساعدة لمواجهة (أزمة السيولة) التي تتعرض لها شركات الطيران، والتي يعمل بها نحو مليونين و700 ألف شخص حول العالم.

حيث دفعت الأزمة شركات الطيران حول العالم، لاتخاذ قرارات سريعة وخطوات طارئة، لوقف نزيف الخسائر، والحفاظ على استمراريتها.

إذ قامت الشركات بإلغاء الرسوم على تغيير رحلات المسافرين لحجوزاتهم، وألغت أو أجلت طلبيات الطائرات الجديدة، وخفضت طاقة رحلاتها الدولية، وجمدت الوظائف، إضافة إلى خفض النفقات وأجور التنفيذيين.

10 تغييرات سيقابلها المسافر على الطائرات:

تقول مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها، أن معظم الفيروسات لا تنتشر بسهولة على الطائرات بسبب كيفية دوران الهواء وتصفيته.

وفي هذه الصدد أوضحت شركة «طيران الإمارات» على موقعها الإلكتروني، أنها قررت أيضاً تعديل طريقة تقديم وتغليف الوجبات والمشروبات على متن الطائرة؛ بهدف التقليل من لمس الموظفين أو المضيفات لها أثناء تقديمها؛ منعاً لانتقال العدوى بين المتواجدين في هذه الرحلات من المسافرين أو أطقم الخدمة.. كما طالبت الراغبين في السفر ضرورة ارتداء أقنعة الوجه والقفازات، والالتزام بقواعد التباعد الاجتماعي؛ تجنباً لانتشار الفيروس؛ مذكّرة بأن جميع المسافرين سيخضعون لإجراءات الفحص الحراري بالمطار.

ومع هذا، وكما توقع الكثير ان العالم والكثير من العادات والسياسات ستتغير على مستوى العالم، فإنه من الثابت أن صناعة الطيران، ستتغير هي أيضاً على مستوى التعامل مع المسافرين وخدمتهم، وفي هذا الشأن، هناك 10 أشياء من المتوقع أن يقابلها المسافر على الطائرة، وهي:

اختفاء الصحف الورقية والمجلات على متن الطائرة.

سيتم توزيع كمامة ومعقم كحولي على كل راكب.

الوجبات جافة وباردة ومغلّفة بإحكام ولن تكون معدة في الطائرة.

سيتم تعقيم المقصورات كل نصف ساعة.

سيكون هناك دورة جديدة في تدوير هواء مقصورة الطائرة باستخدام أجهزة جديدة.

إضافة صنبور الصابون بجوار صنبور الماء وصنبور التعقيم الكحولي، وإضافة رشاشات التعقيم الذاتية تعمل تلقائيًّا بعد كل شخص يستخدم دورة المياه.

طاقم الضيافة يستخدم كمامات وقفازات ومعقمات كحولية كل 20 دقيقة.

تعقيم الحقائب داخل مقصورة الحقائب في الطائرة.

النداء المتوالي على الركاب بتعقيم اليدين من قِبَل طاقم الضيافة.

بعض الطائرات سيكون بها كاميرا حرارية تُظهر الركاب المرتفعة حرارة أجسامهم.

في الختام، يقفز سؤال كبير؛ إلى أي مدى تستطيع شركات الطيران مواجهة فيروس كورونا؟ ثم؛ وهل لديها القدرة المالية الكافية للاستمرار؟ أم ستتدخل الحكومات لدعم هذه الصناعة من خلال محفزات وإعفاءات لدعم الطلب؟

نبوءة العراب أحمد خالد توفيق ..

شربــة الحــاج داود

حامد الصالحين الغيثي _ ليبيا

قبل ستة أعوام، توقع الكاتب والطبيب المصري «أحمد خالد توفيق، الذي رحل في عام 2018، انتشار فيروس «كورونا» في العالم، ودخوله مصر. كما توقع أن تقضي مصر على الفيروس، مؤكداً : «لا مكان له في مصر.. لا داعي للقلق» هكذا تداول عدد من نشطاء موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك»، كما تناولت أعداد من الصحف والمجلات، أجزاءً من أحد كتب الكاتب الراحل أحمد خالد توفيق بعنوان « شربة الحاج داود»، يتحدث فيها عن ظهور فيروس «كورونا» خصص توفيق، الملقب بـ «العرّاب»، فصلاً بعنوان «وفاة فيروس»، في كتابه «شربة الحاج داوود» الصادر عام 2014، عن دار الكرمة للنشر والتوزيع، والكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات طبية وعلمية وشبه علمية. بدأه قائلاً : «لا أشعر أن مشكلة فيروس كورونا خطيرة لهذا الحد إذا وصل إلى مصر.. والسبب سأشرحه حالاً».

قبل أن ينطلق في وصف رحلة متخيلة للفيروس منذ دخوله مصر:

«عندما وصل الكورونا إلى مصر **كان يحمل هذا الاسم المخيف MERS-CO ومعناه (المتلازمة التنفسية الخاصة بالشرق الأوسط الناجمة عن فيروس كورونا)**، لنضع خطين تحت هذا الاسم«MERS-CO» سنتحدث عنه لاحقاً ولنكمل نص العراب :

«هبط من الطائرة وهو يتحسس شاربه في ثقة كما يفعل مستر اكس في الأفلام.. غداً سوف يغزو البلاد وسوف تمتلئ عنابر المستشفيات. هل تذكر السارس SARS الذي ارتجفنا من هوله منذ أعوام، والذي فتك بمكتشفه الطبيب الإيطالي كارلو أورباني؟ إن فيروس سارس هو أخو فيروس الكورونا مع اختلاف بسيط. بل

إنه يتذكر أوبئة الأنفلونزا الشهيرة. وباء 1917 مثلاً الذى لم يترك مخلوقاً على ظهر الأرض إلا وأصابه، وقد دفنت قرى كاملة تحت الثلوج بعدما مات كل أهلها.. وكان فيروس الكورونا يأمل أن يكرر هذه الأمجاد عندما وصل إلى مصر، خاصة أن الكثافة السكانية العالية والتكدس يسمحان له بالبقاء والتكاثر للأبد»

وتابع:

«لقد تعلم الكورونا أشياء كثيرة في مصر، منها أن الملاريا فيروس، كان يعتقد أن الملاريا حيوان وحيد الخلية، وهذا يتعلمه أي طفل في الصف الثاني الإعدادي، لكنه اكتشف أن هذا غير صحيح».

واستطرد :

«حاول أن يحتمي في أعلى الجهاز الهضمي، لكنه فوجئ بكميات من اللبن المخلوط بالسيراميك واللحم منتهى الصلاحية، والزيتون الأسود المطلي بالورنيش، والجبن المحفوظ بالفورمالين، ثم غرق من ماء المجاري العطن، عرف أنها مياه معدنية ابتاعها صاحب الجسد ليشرب ماء نقياً غير عالم أنها مملوءة من الحنفية.

وواصل:

«فجأة ساد حر رهيب، وارتفعت الحرارة إلى حدٍ

غير مسبوق، بعد هذا أدرك الفيروس البائس أن الأمر يتكرر خمس مرات يوميا»،

استعرض من خلال هذه الرحلة الظروف الصعبة التي تعيش فيها شريحة كبيرة من المصريين، وفي النهاية يموت الفيروس، وتابع:

«بعد قليل عرف أن وعيه ينسحب.. الحياة تتسرب منه.. سقط.. لقد قضت مصر على الفيروس، فكما ترى أنا مطمئن..هذا الفيروس الرقيق الواهن سوف يصاب بالتسمم ويموت، فلا مكان له في مصر.. لا داعي للقلق»

وعبر رواد المواقع التواصل الاجتماعي عن دهشتهم مما كتبه توفيق قبل ست سنوات، في شكل يرى فيه أغلب النشطاء أنه تنبؤ من الكاتب الراحل بظهور الفيروس في مصر. وكأنه يعيش بيننا الآن، في حين أوضح آخرون أن الأمر ليس غريباً، لأن «كورونا» ظهر أو عاد للظهور في عام 2012، بالتحديد في المملكة العربية السعودية وأصاب بعض الدول وعاد للانحسار، اطلق عليه اسم فيروس كورونا MERS-CO تلك التي وضعنا تحتها خطين اختصارًا فيروس كورونا المستجد، في ذلك الوقت

اعتبارًا من يوليو 2015، أُبلغ عن حالات الإصابة بفيروس كورونا المرتبط بمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية (MERS-Co) في أكثر من 21 دولة، بما في ذلك المملكة العربية السعودية التي بلغت 80% تقريباً من الحالات البشرية والأردن وقطر ومصر والإمارات العربية المتحدة والكويت وتركيا وسلطنة عُمان والجزائر وبنغلاديش وإندونيسيا والنمسا، والمملكة المتحدة وكوريا الجنوبية، والولايات المتحدة، وبر الصين الرئيسي، وتايلاند، والفلبين. يُعتبر فيروس كورونا المرتبط بمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية (MERS-Co) واحداً من الفيروسات العديدة التي حددتها منظمة الصحة العالمية كسببٍ محتملٍ لوباءٍ في المستقبل. وضعَ على قائمة البحث والتطوير المستعجل

فيروسات كورونا: هي مجموعةٌ من الفيروسات تُسبب أمراضاً للثدييات والطيور. يُسبب الفيروس في البشر عدوى في الجهاز التنفسي والتي تتضمن الزكام وعادةً ما تكون طفيفةً، ونادراً ما تكون قاتلةً مثل المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية وفيروس كورونا الجديد الذي سبب تفشي فيروس كورونا الجديد 2020

اكتُشفت فيروسات كورونا في عقد 1960، وأول الفيروسات المكتشفة كانت فيروس التهاب القصبات المعدي في الدجاج وفيروسان من جوف الأنف لمرضى بشر مصابين بالزكام سُميا فيروس كورونا البشري 229E وفيروس كورونا البشري OC43. منذ ذلك الحين تم تحديد عناصر أخرى من هذه العائلة بما في ذلك: فيروس كورونا سارس سنة 2003، فيروس كورونا البشري NL63 سنة 2004، فيروس كورونا البشري HKU1 سنة 2005، فيروس كورونا ميرس (MERS-Co) سنة 2012، وفيروس كورونا الجديد (COVID-19)، ومعظم هذه الفيروسات لها دور في إحداث عدوى جهاز تنفسي خطيرة.

أي قبل أن يكتب أحمد خالد توفيق كتابه ويحكي لنا عن «كورونا»، أي أن أحمد خالد توفيق هو من أخذ اسم الفيروس بعد انتشاره في السعودية وقتها وسجله في كتابه، ولم يتنبأ أو يتوقع به كما تداول رواد مواقع التواصل الاجتماعي أو كما نشرت الأخبار واعداد من الصحف والمجلات...

الخفاش يلقننا درساً

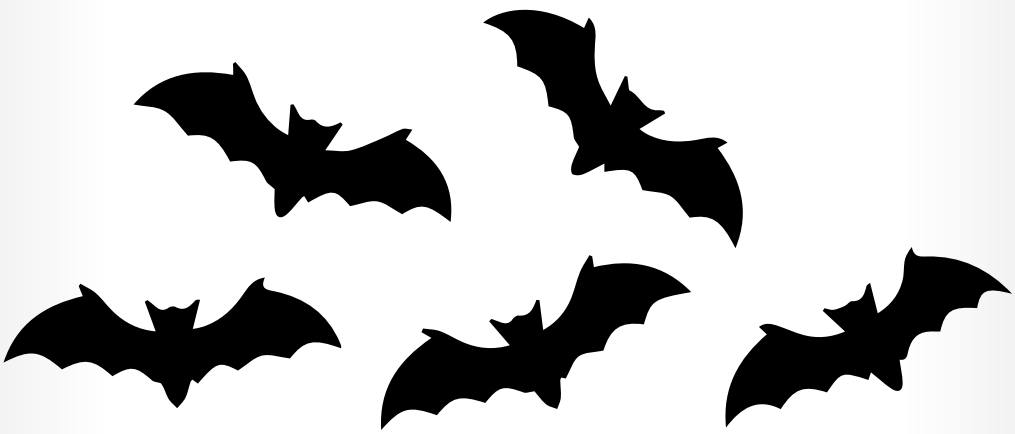

د. عبدالله علي عمران . ليبيا

نهاية الغرور الإنساني :

لقد أجمع مفكرو و فلاسفة العصر الحديث، على أن الإنسان – أو الغرور الإنساني تحديداً- تعرض لضربات قوية، من ثلاث تيارات فكرية وعلمية، جعلت منه موضوعاً للتساؤل، بل وضعت الوجود الإنساني كاملاً، موضع السؤال، و هذا السؤال كان بشكل كبير يمثل جوهر الفلسفات المعاصرة التي تناولت مشكلة الوجود الإنساني والحرية والإرادة والفردية والعزلة والآخرين.

أما الضربات الثلاث التي تلقاها الغرور الإنساني، فهي ما توصل إليه «جاليليو» و «كوبرنيكوس»، حين أكدا على أن الأرض ليست مركزاً للكون ـــ كما كان يعتقد القدماء و رجال الكنيسة ـــ فلم يعد كوكب الأرض ـ ملاذ الإنسان و مستقره ـــ مركزاً للوجود، بل تبين أيضاً أنه كوكب صغير ضمن مجرة محدودة، تشكل مع عددٍ لا محدود من المجرات، هذا الفضاء الفسيح. وكانت الضربة الثانية على يد «تشارلز دارون» حين حاول أن يثبت من خلال «نظرية التطور» أن الإنسان ليس كائناً متكاملاً ، مترفعاً بغروره عن مملكة الكائنات الأخرى، بل أنه يخضع لنفس شروط تطورها، أما الضربة الثالثة، فهي من «سجموند فرويد»، حين أجرى دراساته لكي يثبت من خلالها

أن «اللاشعور» يعتبر المتحكم الأساسي في السلوك الإنساني، و بالتالي، فالإنسان من الناحية النفسية هو وليد ظروف نشأته، و يمثل عقله الباطن المخزن الأساسي لغالبية ما يقوم به.

كورونا عدو البشرية و معلمها الأول :

وعلى الرغم من الجدل الدائر حول صحة تلك النظريات، و الرفض الديني للكثير منها، ليس فقط لنظرية التطور و اللاشعور، بل و نظرية دوران الأرض نفسها، إلا أنها استطاعت أن تغير مسار التفكير الإنساني، خاصة في الأوساط الأوروبية، وهذا ما ينطبق على فيروس كورونا المستجد، حيث يمكن تصنيفه على أنه أعنف الضربات التي يتلقاها الغرور الإنساني في الحقبة المعاصرة.

فحتى لو اعتبرنا أن كورونا هو العدو الأول للبشرية، كما صنفته منظمة الصحة العالمية، إلا أننا لا يمكننا تجاهل الجانب الإيجابي لهذا الوباء، فكما تعلمت البشرية من نظريات و اكتشافات سابقة، كانت تمثل ضربات للغرور الإنساني، يمكنها أن تتعلم –عنوةً– من وباء كورونا المستجد.

فلسفياً، (بين الوجودية و التشاؤمية و العدمية) :

قبل الحديث عن الدروس المستفادة في السياقات الاقتصادية والاجتماعية، لابد من البدء بالسياقات الفلسفية، حيث أعاد كورونا إلى الأذهان الكثير من الأفكار والأسئلة الفلسفية، بل و تبين أيضاً أنها لا تنقصها الصحة ولا الدقة، كتلك التي طرحت خلال تطور الفكري الفلسفي، للحقبة المعاصرة، حين سيطرت أفكار كثيرة، تشترك في خط فلسفي عام، يتمثل في «فردية الوجود الإنساني» وكل ما يثار حوله من أسئلة.

لقد عاش العالم حالة من الذعر والخوف، تشبه تلك التي عاشها خلال الحروب العالمية، وانتشار وباء «الانفلونزا الإسبانية»، حين كان الموتى بالملايين، والمدن خالية، يهرب سكانها من الجوع والخوف والقصف، وهو ما جعل الأجيال الراهنة تعيش سياقاً تاريخياً مشابهاً لذلك الذي ولدت فيه أفكار الفلسفات الوجودية التي تناولت مشكلة الموت والقلق، بل وتعدتها إلى السؤال عمن يضع «خطة الوجود»، ومن يتحمل مسئولية كل ما تعرضت له البشرية.

كما تقاربت أفكار «الحجر الصحي المنزلي»، مع ما تمناه و نادى به الفلاسفة المتشائمون والعدميون، ألا وهي «العزلة»، تلك القوقعة التي يتحصن فيها الإنسان لحماية نفسه، لكي لا يشغل نفسه بقضايا المجتمع الزائفة، فضلاً على أنها كانت تمثل موقفاً ثورياً رافضاً لكل ما يفعله المجتمع.

في الجهة المقابلة، كانت «الجموع» و«الحشود» تمثل على الدوام خطراً يهدد الحقيقة، بل هي المصدر و البيئة المناسبة لنمو كل أشكال «الوهم»، كما يصورها «غوستاف لوبون»، كما يؤكد «سيوران» في ذات السياق، على أن حقيقة الإنسان، هي تلك التي يكتشفها بمفرده، و هويته هي تلك التي يصنعها بنفسه، لكونه يكون أكثر صدقاً عندما يبقى مع نفسه بعيداً عن ضوضاء وسلطة الجموع، فالآخرون هم الجحيم وفقاً لوصف «سارتر»، دع عنك أن ما يمر بها العالم، يجعل من الممكن تفهم كل ما قاله الفلاسفة العدميون، عن جدوى الوجود الإنساني، و الفلاسفة المتشائمون، عن أن الحياة، مجرد معركة طاحنة، يسحق فيها الإنسان. لقد أصبح من الممكن التفاعل مع تلك الأفكار الفلسفية، التي طالما نظر إليها على أنها متطرفة و مبالغ فيها، لأن كورونا، صنع لنا ظروفا مشابهة لظروف نشأتها.

العنصرية عادة بشرية مكتسبة :

تبين أن كورونا فيروس عادل، و لا يحمل أي جينات أو عادات تربى عليها، وفقاً لتعاليم عائلته أو أسرته، تحثه على العنصرية، و التمييز بين الأعراق و الأديان و المناصب، لقد أثبت كورونا أن العنصرية اختراع بشري محض، فقد أصاب الفيروس قادة العالم، وأرغم الأمراء و الملوك على لزوم الحجر الصحي، شأنهم شأن أي حارس ليلي لعمارة قديمة، و اضطر لأجله كل اللا مبالين لغسل يديهم لمدة 20 ثانية، كما يفعل أي مصاب بهوس النظافة.

لقد أغلق كورونا، المعابد و الكنائس والمساجد، دون أن يميز بين الأديان، فلم يلتفت لكون البناء يعلوه صليب أو هلال أو نجمة داوود، تدق فيه الأجراس أو تصدح فيها المآذن، كما لم يميز بين خلايا رئة الإنسان الأبيض وخلايا رئة الإنسان الأسود، ولا بين عيون أسيوية ضيقة، أو عيون أوروبية ملونة واسعة، ضارباً بكل أشكال التمييز العرقي عرض الحائط. لم يميز بين اقتصادات عالمية عابرة للقارات، و بين (اكشاك) السجائر، فقد أغلق المصانع و أرغم العاملين على لزوم بيوتهم، و عزل مراكز صناعية وتجارية كبرى، كما ألزم الباعة المتجولين بيوتهم مع بضائعهم، لقد أوقف انبعاث جميع الأدخنة، سواءً من مداخن مصانع الشركات الكبرى أو حتى «شيشة الأرجيلة» المنبعثة من مقاهي الأزقة الفرعية المهجورة و المجهولة.

صعود الحضارة و هبوطها :

أثبت كورونا، أن الحضارة الإنسانية، على كف عفريت، و أنها عرضة للزوال في غمضة عين، و أن صعود الحضارات الإنسانية تدريجي و تراكمي، و يحتاج إلى فترة طويلة من الزمن، و أن القيم أشياء تحتاج إلى وقت من التربية و التهذيب، و لكن في المقابل، يمكن أن يكون السقوط مدوياً وسريعاً، حيث تفقد الدول الكبرى و المدن المزدحمة كل زخمها و سحرها، و تصبح مدن أشباح، في وقت قصير جداً، بمجرد وصول الوباء إليها، و تتوقف كل وسائل النقل المتطورة، و يعود الإنسان إلى حياة الإنسان البدائي، يغلق الباب على نفسه، بمجرد حلول الظلام، فكل الكائنات -بما فيهم أقرانه البشر- هم أعداء محتملون، خاصة عندما يتخلى البشر عن قيمهم و تعاطفهم الإنساني، أمام هلع الجائحة، و يعودون للحالة الأولى، التي يدافع فيها الإنسان عن حياته، دون أدنى تعاطف مع أقرانه.

المخيلة الإنسانية على المحك :

أثبت كورونا أن صراع المخيلات الإنسانية يمكن أن يحسم، حيث استطاع الخفاش متمثلاً في صورة «دراكولا» مصاصاً للدماء، أن يصمد، عند أول اختبار للتحقق، حيث فتكت «شربة الخفافيش» بأقوى النظم الصحية في العالم، و تحول الإنسان المصاب بفيروس الخفافيش، قاتلاً مرعباً و خفياً في ذات الوقت، سريع العدوى، خفي الأعراض، يفتك بسرعة بنفسه بعد أن ينقل الموت لغيره، بينما خلع الإنسان رداء «بات مان»، ذلك البطل الأسطوري، الذي بمقدوره أن يهزم أعتى الأشرار، وأن ينقذ كل الأخيار، حين يستعين برداءه الواقي من الرصاص، وسيارته السريعة المجهزة بأحدث التقنيات والأسلحة، فقد أصبحت الطريقة الفعّالة لكي يكون قدوة لمعجبيه، هو أن يبقى في بيته !

بين لحمة الكتف و شربة الخفافيش، (العشاء الأخير) :

لقد كان كورونا، أحد الشواهد الكثيرة، على تحقق نبوءة (مارشال ماكلوهن M McLuhan) التي قدمها في عدة كتب منها القرية العالمية The Global Village، حيث أصبح العالم قرية صغيرة small village بالفعل، و لم تعد العادات والأكلات

الشعبية، شيئاً خاصاً، ينحصر أثرها في عدد الأشخاص المؤمنين بها، فقد تبين أن الأكلات الشعبية، قد تؤثر على نطاق واسع، يتخطى بكثير عدد الجالسين حول المائدة، فمن كان يتخيل أن العالم بأسره، سيدفع ثمن ولع الصينيين بشربة الخفافيش، حين نقلوا كورونا من الخفاش إلى الإنسان، و أن تلك الشربة، قد تكون تجسيداً حرفياً و فعلياً لمصطلح «العشاء الأخير» للبشرية جمعاء.

من قال إن أوروبا و أمريكا، ستدفع ثمن العادات الاجتماعية الايطالية، التي ترفض عزل كبار السن عن الأطفال و الشباب؟ و أن دول الخليج و الشرق الأوسط، تكون ضحية لعدم قبول المرجعيات الدينية الإيرانية، لحجر مناطق موبوءة صحياً، لأسباب تتعلق بالطقوس والعادات الدينية، كما دفعت الدول المتخلفة، ثمن وجبات شعبية أخرى، مثل الكبسة، و الأرز و لحمة الكتف و البازين و الملوخية، تلك الوجبات الشعبية التي يتناولها شيوخ العشائر و القبائل و النافذين في الدولة، الذين يختارون بعد الوجبة، من يتقلدون المناصب، أو يوزعون وفقاً لمعايير عشائرية أو قبلية، وزيراً للداخلية و وزيراً للتعليم ووزيراً للصحة، ذلك الأخير لا يعرف شيئاً عن الأوبئة ولاكيفية التصدي لها.

العقل الجمعي و نسبية القيم :

لقد أثبت كورونا أن الوعي المجتمعي و العقل الجمعي هو الفيصل، فلا وجود لصراع خفي بين الدين و الإيمان من جهة، و بين العلم و التجربة من جهة أخرى، فكلاهما يحقق مقاصده بالوعي، فالنصوص الدينية تصبح أقرب إلى الواقع و تحقيق المقاصد، حين ينزلها مجتمع واعٍ على الواقع، و يعرف أن أي تجمع، حتى و لو كان لغرض العبادة، هو فرصة لتفشي الوباء، فيتجنب ذلك، و حين يعرف المجتمع أن الوقاية، ليست خير من العلاج و حسب، بل قد تكون هي العلاج المتاح حالياً، حين لا يستطيع العلم توفير أكثر من ذلك، لأنه يعجز عن توفير مصل للعلاج.

و أن القوانين واللوائح، حتى لو تعددت و تفرعت وكانت أكثر تعقيداً، والأجهزة الأمنية، حتى لو تكاثرت وتجهزت بكل التقنيات، وتخصصت لعدة تخصصات، لن تكون كافية لتفشي الوباء، ما لم يكن هناك عقل جمعي لمجتمع واعٍ، يقدر خطورة الموقف.

لقد علمنا كورونا أن المصافحة بيدٍ فارغة، قد تصبح أكثر فتكاً من مد يدٍ تشهر السلاح، و أن تداول العمل النقدية، قد لا يجلب الثراء، بل يجلب الوباء و يصبح شكلاً من أشكال الشروع في القتل. وأن أفعالك اليومية الطبيعية كالعطس والكحة، قد يجعلان منك محط تنمر أو رفض اجتماعي، زيارة الأقارب أصبحت ممنوعة بحكم القانون، بوصفها جريمة، لقد تحققت نبوءة «سيوران» التي اقتبسها من البوذية، حين أصبح الأقارب في مرتبة أعلى من الشيطان، قد علمنا أنه لا توجد قيم و عادات ثابتة، وأن كل شيء يحتاج إلى سياق حتى يمنحه القيمة و يجعله قابلاً للفهم؛ فلا يحق لنا السخرية من عادات الشعوب، كتلك التي لا ترتدي الكثير من الملابس، أو تتبادل التحية بالأرجل بدل الأيدي، فلقد أثبت الزمن أن الملابس و المصافحة تنقل عدوى قاتلة.

لقد علمنا كورونا، أن الوعي و المسئولية في الاختيارات السياسية، مسألة مهمة جداً، فلا يبدو الأمر مجرد فكاهة، حين تداول رواد مواقع التواصل الاجتماعي، فكاهة حول النظم السياسية في الدول المتخلفة، لأنها لا تستطيع تطبيق الحجر الصحي على كبار السن، الذين تتجاوز أعمارهم «75 عاما»، لأن ذلك سيعرضها حتما لفراغ سياسي، فتلك النظم تخلو برلماناتها و حكوماتها من الشباب، حيث يتقلد الكهول مناصبها العليا.

الأوبئة في تاريخ ليبيا

د. حسن المغربي. ليبيا

على سبيل التقديم:

تحتل ليبيا موقعا استراتيجيا مميَّزا على ساحل البحر الأبيض المتوسط؛ فهي تقع في وسط الشمال الأفريقي، وتبلغ مساحتها 1775 كلم2، وتشكل الصحراء الجزء الأكبر منها، وتأتي في الترتيب الرابع من حيث المساحة بين دول قارة أفريقيا، ومساحتها تزيد سبع مرات عن مساحة إيطاليا مُستعْمِرَتِها سابقا، ومناخها معتدل في السهل السَاحلي، دافئ شتاء، ويميل إلى الحرارة صيفا، وتهطل فيها الأمطار بمعدلات مختلفة خلال فصول الشتاء والربيع والخريف. أما عدد سكانها، فكان يزيد قليلاً عن المليون نسمة؛ حسب إحصاء 1954م، وهو أول إحصاء أُجري فيها بعد إعلان استقلالها في 24 ديسمبر 1951م أما عدد سكانها اليوم يقرب عن سبعة ملايين نسمة، وكان من المفترَض أن يزيد عدد السكان فيها أضعافاً مضاعفة، ولكن سوء الحالة الصحية إبان الحكم العثماني، وتفشي الأوبئة، وحرب إيطاليا، أودى بحياة الكثيرين.

ليبيا والأوبئة: حفر في الذاكرة:

ما من شك في أنّ ليبيا، مثل بقية دول العالم، تعرضت، عبر تاريخها الطويل، إلى سلسلة من الأمراض والأوبئة؛ نتيجةً لسنوات القحط والجفاف التي مرت بها، في فترات تاريخية متباينة. ومع أن المصادر المتوفرة لا تسعفنا بكثير من المعلومات عن تاريخ الأمراض الخطيرة في ليبيا في العصر القديم، إلا أننا نستطيع القول إن أول إشارة تاريخية صريحة إلى تفشي الأوبئة في ليبيا جاءت على لسان (ثوسي ديدز)، في معرض حديثه عن وباء أثينا سنة 430 قبل الميلاد؛ حيث ذكر أنّ انتشار المرض (الذي يحمل بعضا من أعراض حمى التيفوس) بدأ في إثيوبيا، ثم انتقل إلى مصر وليبيا؛ ومن ثمَّ انقض فجأة على مدينة أثينا، وخَلّف أعداداً كبيرة من الموتى، إلى درجةٍ أصبح معها الناس غير مبالين بالعادات التي التزموا بها في الدفن؛ فاضطروا إلى الالتجاء إلى المحرقة. وفي سنة 324 ق.م، خلال هجوم المغامر الإسبرطي (ثيبرون) على مدينة قورينى، حلت المجاعة في ليبيا، وراح ضحيتها أعداد غفيرة من أهل قورينى، وكانت السبب الرئيس (كما يقول المؤرّخون) في احتلال (ثيبرون) بعضَ مدن الساحل الليبي الشرقي مدة قصيرةً.

وفي بداية العصور الحديثة، تعرضت ليبيا إلى موجات كثيرة من الأوبئة، كان من بينها طاعون 1654م، الذي تفشى في أثناء ثورة أهالي ضواحي بنغازي ضد الأتراك؛ مما جعل الوالي يوسف بك، الذي ظل محاصَرا عدة أشهر في قلعته، يضطر إلى الفرار. وقد كان هذا الوباء واحداً من الأسباب التي أدت إلى انسحاب

HOSPITAL AT EL YEFREN

الأتراك من مدينة بنغازي، لكنهم عادوا إليها بعد انحسار الوباء؛ حيث أرسلت القوات التركية قوة متكونة من خمسمائة فارس، بقيادة ابن الفاضل الأندلسي ومحمود الكيخا، وهو علجٌ أصلُه من جزيرة سردينا، فقاموا بمحاصرة المدينة حتى تمكنوا من الاستيلاء عليها، بعد معارك طاحنة بين الطرفين؛ فاضطرّ أهالي بنغازي إلى الاستسلام شريطةَ أن تُصان أرواحهم وأعراضهم.

وفي عهد إبراهيم مصرلي أوغلي، الذي قال عنه المؤرخ الليبي أحمد بك النائب إنه «كان حازما، معظِّما لحُرمات الله»، انتشر وباء الطاعون، سنة 1675م، بواسطة حُجّاج عائدين من مكة على ظهر متن سفينة مصرية، فأزهق من الأرواح قُرابة ستين ألف نسمة، وكانت النساء والأطفال، على الخصوص، من بين أكثر ضحاياه. وفي سنة 1690م، عاد وباء الطاعون مرةً أخرى إلى ليبيا، وفتك بأرواح عدد كبير من أهالي مدينة طرابلس وضواحيها في عهد محمد الإمام داي، الملقب بـ«شائب العين»، واستمر عدةَ أشهر في جميع أنحاء الولاية، وكان من بين الذين ماتوا بهذه الجائحة «الراهب الأب (دي مونريال)؛ رئيس الإرسالية الكاثوليكية، كما مات معه راهبان آخران قضى عليهما الوباء، بينما كانوا يقومون بمعالجة الأسرى النصارى، الذين انتقلت إليهم العدوى في السجون». وفي سنة 1733م، إبان حكم أحمد باشا

القرمانلي، تفشّى وباء الطاعون في مدينة طرابلس، وقَتل نحو أربعة آلاف نسمة خلال شهرين تقريبا، وقد تضررت منه القنصلية الفرنسية كثيرا؛ فحسب ما ذكره القنصل الفرنسي شارل فيرو، الذي عاش في طرابلس ما بين 1878 و1884م، «أنه من بين الأربعة عشر شخصا، الذين كانوا يقيمون بها (أي: بالقنصلية)، لم تنجُ منهم سوى مدام (ريموندس)؛ زوجة القنصل». هذا، وقد ظلت الأوبئة تضرب بأطنابها في ليبيا كلما اشتدت المجاعة بين السكان نتيجةً لسوء الوضع الاقتصادي والنظام الاجتماعي بالولاية، كما أن قلة الأمطار أدت، في كثير من الأحيان، إلى حدوث مجاعات تجرّ خلفها الأمراض. ففي سنة 1767م، أثناء الحرب الأهلية بين قبيلتي أولاد سليمان والفرجان، انتشرت المجاعة في طرابلس مدةَ عامين؛ مما أدى إلى تفشي وباء الكوليرا، الذي قتل في طرابلس وحدها حوالى خمسمائة نسمة، وهاجر أكثر من أربعين ألفا من سكانها إلى مصر وتونس وبقية الدول المجاورة. وبعد ثمانية عشر عاما تقريبا؛ أي في سنة 1785م، انتشر في ليبيا (عن طريق إيالة تونس) وباء الطاعون، وهو من أفظع الطواعين التي عاثت وأثرت في طرابلس وضواحيها كثيرا، وأول ما ظهر في مناطق الداخل، ثم انتقل إلى مدينة طرابلس، ويُقدر عدد ضحاياه، في منطقة المنشية وحدها، بحوالى سبعة وعشرين ألف نسمة، وتوجد معلومات وفيرة عن صولة هذا الوباء، نجدها في كتب الرحّالة والقناصل الأجانب المعاصرين له؛ فها هي السيدة (ليدي ورثلي) تسجل، في يومياتها لشهر أغسطس من عام الوباء، «أن المدينة، في ظروفها الراهنة، تمر بحالة مرعبة من المجاعة، حتى إن المرور بشوارعها، على الأقدام أو فوق ظهور الخيل، أصبح شيئا مخيفا مفزعا؛ بسبب الجوعى الذين يموتون كلَّ يوم على الطرقات». كما وصفت مس توللي (التي عاشت عشر سنوات في طرابلس) هجمة الوباء قائلة: «لقد هاجم الوباء المدينة منذ شهرين، فكم نفسا تُرى أزهق خلال هذه المدة القصيرة؟ ثلاثة آلاف مخلوق.. نعم ثلاثة آلاف وارتهم جبانات طرابلس، وخسرتهم البلاد إلى الأبد. إنهم يبلغون حوالي ربع سكان المدينة. ومع ذلك، فإنّ نقمة الوباء على طرابلس تزيد وتزيد، والوفيات ترتفع أعدادُها وترتفع». وبهذه المناسبة، يذكر الرحالة الإسباني باديا لبليك، المعروف باسم «علي بك العباسي»، الذي تمكّن من الإقامة في طرابلس مدة شهرين، بعد انقضاء الوباء بنحو عشرين عاماً، أنه « أنقص الطاعون كثيرا عددَ السكان بالمدينة؛ إذ قضى، في الغالب، على أُسَر بكاملها، وما يزال يشاهد المرء، حتى الآن، بعض المنازل المهجورة أو المنهارة بسبب هذا الوباء». وفي الوقت الذي لم تقم فيه السلطة الحاكمة باتخاذ أيّ إجراءات صحية؛ لمنع تفشي الوباء في جميع أنحاء الولاية، كان النصارى القاطنون في المدينة يغلقون أبواب بيوتهم، ويفرضون على أنفسهم الحَجْر الصحي. كما قاموا باستعمال التوابل ونبات الكافور كمطهِّرات، وأخْلَوا منازلهم من الحيوانات الداجنة خشيةَ أنْ يكون ريشها أو فرْوُها واسطة لنقل العدوى. وفي هذا الصدد، تقول مس توللي: «لقد أعددنا كثيرا من الجرار للاستعمال في تطهير الدار، ونحن نملأ ثلث الجرّة بالنخالة، ثم نعبّئ الباقي بثلاثة أنصبة متساوية من الكافور والمرّ وعود الندز كما نقوم بحرق هذا العطر مع كَمية قليلة من كُحل البارود في غرف

الدار كلَّ يوم». أما فيما يتعلق بالعائلات اليهودية، فإنها زادت من شرّة الوباء؛ عن طريق دفن موتاها في بيوتها تهرباً من دفع الضرائب، التي فرضها على اليهود عميدُ الجالية اليهودية؛ بُغية التخلص من دفن جثث الفقراء من اليهود؛ إذ إنه، في وقت ذُروة الطاعون، ارتفعت نفقات دفن الموتى، كما أصبح الخشب الذي تُصنع منه التوابيت نادراً؛ ولذلك، لم تعد الجثث تُدفن على حِدَة، بل صارت، لكثرتها، تُحمل على ظهور الجمال، ثم تُدْفَن جماعيا، دون أن تقام صلاة الجنازة على أصحابها. وانتشرت رائحة العفونة نتيجةَ كثرة الموتى في الشوارع لعدة أسابيع، ووصل عدد الوفيات في اليوم الواحد 290 حالة، إلى درجةِ أن مس توللي، وهي شاهدة عيان على هذه الكارثة، (قالت): «إن الوباء، الذي يلتهم أرواح أهل هذه البلاد، في الوقت الحاضر، لَهُو أشد فتكاً من مثيله الذي انقضّ على القسطنطينية منذ بضعة قرون. كما أنه أودى بأرواح خَلْق يَعْدِلون ضعْف الذين هلكوا في تونس حين كانت تلك المدينة تُخْرج 500 نعش كل يوم. ولقد أُخرجت أكثر من 200 جثة من بوابة طرابلس هذا اليوم! هذا مع العلم أن مجموع سكانها يتجاوز 14 ألفا، في حين تبلغ تونس 30 ألفا». وما من شك في أنّ هذا الوباء كان له تأثيرٌ مدمّر على ولاية طرابلس عدّةَ سنوات؛ نتيجةَ ما جَرّه عليها من أضرار فادحة على المستويات الاقتصادية والاجتماعية، كما أسهم في التعجيل بانهيار الأسرة القرمانلية الحاكمة؛ وذلك عن طريق انتشار الفوضى، واشتعال الحروب بين قبائل ترهونة وورشفانة والمحاميد، وقد كانت نتيجة هذه الظروف جميعها هو فقْد السلطة الحاكمة السيطرة على زمام الأمور في البلاد. وفي هذا الشأن، يقول قنصل فرنسا فلبير، وهو معاصر لأحداث تلك الآونة، وقد ترك لنا وصفا مهمّا للحالة التي كانت عليها البلاد آنذاك: «لم يعد باشا طرابلس يَسُوس اليومَ سوى رعايا متمردين، وفيافٍ مجدبةٍ، وخرائب مهدّمة. وحتى المدينة، التي يقطنها هو نفسه، لم تعد سوى أكوام من الأنقاض (...). ولقد أدى توالي سبع أو ثمانٍ من السنين العِجاف إلى ارتفاع معدل الوفيات، وإلى هجرة الناس من البلاد. ثم تَتّى الطاعون؛ فزاد الطين بلّة. وليست طرابلس الآن سوى صحراء موحشة». ثم وصف لنا حالة الجدب والمجاعة في البلاد قائلا: «(...) ومما يُدلّل على مدى تفشي الفقر والإملاق أنّ الذهب والفضة المصنعة صارا يباعان بأقل من قيمتهما الفعلية في أوربا، بمعدل 20% و25%». ومن اللافت للنظر أنّ جميع الذين عاصروا هذا الوباء، أو الذين جاءوا بعد انحساره عن طرابلس، يؤكدون أنه كان سببا في تردّي الأوضاع الاقتصادية، وهجرة السكان. وبذلك، يتضح أن بيئة ليبيا، في تلك الأزمان، كانت بيئة طارِدة، وهو ما يفسر لنا اليومَ حجم عدد سكانها الضئيل مقارنةً بعدد سكان الدول المجاورة لها.

وفيما بين 1836 و1837م، عاد وباء الطاعون إلى مدينة طرابلس وضواحيها، و«كان يموت كل يوم، من الأهالي، ما يتراوح بين 35 و 40 شخصا. وهجَر بعض السكان المدينة، وخرج القناصل وبعضُ أفراد الجالية الأوروبية إلى مالطا وإيطاليا. وبلغ الوباء أقصى عُنفه في فبراير 1837م. وقد ذكر أحد القناصل، في رسائله، أن سكان المدينة قد هبطوا من سبعة آلاف نسمة إلى أربعة آلاف نسمة» فقط. وفي عهد الوالي التركي أحمد

عزت باشا، الذي حكم طرابلس مدّةَ أربع سنوات، ولم يكن، في عهده، ما يُذكَر سوى تفشي داء الكوليرا في جميع أنحاء الولاية سنة 1850م، وفتْكه بالناس فتكا شديدا طَوال ثلاثة أشهر، وقد مات في مدينة طرابلس وحدها – بسببه – ثمانمائة شخص، و»هو رقم مرتفع بالنسبة لسكانها الذين تقلص عددهم منذ الأسابيع الأولى لتفشي الوباء؛ فلم يعُد يزيد عن خمسة آلاف نفس؛ وذلك نتيجةً لهرب قسم كبير منهم إلى جزيرة مالطا، وإلى تونس».

وفي مستهل القرن العشرين، وبالتحديد عند نهاية العهد العثماني الثاني لِليبيا، كانت الأمية منتشرة في جميع أنحاء الولاية، والأمراض تفتك بأرواح المئات كلَّ شهر؛ مما أدى إلى تعرضها لمرض الكوليرا سنة 1901م، وهو الأمر الذي جعل حكومة الولاية تطلب ثلاثة أطباء من نظارة الداخلية؛ كما يُفهَم من وثيقةٍ مؤرخَة في2 أبريل 1902، جاء فيها: «إن هذه الولاية (طرابلس الغرب) بقيت احتياجاتها الصحية مهملة ومنسية أسوةً بشؤونها واحتياجاتها الأخرى. وإنّ المصائب الكثيرة والمؤلمة، التي تعرض لها سكانها؛ من جرّاء فقدان الأطباء، وبخاصة في الفترة التي استحكمت فيها آفة الكوليرا الهائلة، في العام الماضي. وبالنظر إلى الاحتياج الشديد (...)، طلبنا الإسراع بإرسال ثلاثة من الأطباء». والجدير بالذكر أنّ ليبيا تعرضت لوباء الكوليرا في أكثر من منطقة، في بداية القرن العشرين، من بينها طرابلس ودرنة وبنغازي. ففي بنغازي، على سبيل المثال، انتشرت الكوليرا عن طريق إيطاليا، وراح ضحيتها 4023 نسمة، فيما بين 15 يوليو 1910 و12 يناير1911م، وَفقا لما جاء في السِّجِلات التركية الرسمية.

وفي بداية الحملة العسكرية الإيطالية على طرابلس، انتشرت الكوليرا بين صفوف القوات الإيطالية؛ مما زاد من الصعوبات التي صادفتها إيطاليا في احتلال طرابلس. أما مدينةُ درنة، فقد ظهرت فيها الحالات الأولى من الكوليرا في بداية 1913م؛ عن طريق الجنود الإيطاليين بالمعسكرات، وبعدئذٍ انتشرت داخل المدينة، وقتلت عددا كبيرا من الناس؛ ومن ثمّ انتقلت إلى باقي مدن شرق ليبيا. وفي تلك السنة، منعت الحكومة الإيطالية الأهالي من أداء فريضة الحج؛ بدعوى أن الوباء منتشر في الحجاز. ويحدّثنا الأستاذ وهبي البوري، في كتابه «مجتمع بنغازي في النصف الأول من القرن العشرين»، عن تفشي وباء الطاعون بهذه البلدة سنة 1914م؛ حيث قال، في معرض حديثه عن صولة الوباء في بَرْقة، إنه كان يموت العشرات في كل يوم في منطقة دريانة، كما ذكر أنه مات بمنطقة بوفاخرة ثلاثة أرباع سكانها، وحصد من أرواح بنغازي المئات، ولا سيما في منطقتي سيدي حسين وزرايب العبيد. ومن بين الإجراءات التي قامت بها الحكومة الإيطالية لمكافحة المرض تطهيرُ منازل المرضى، وحرق ملابسهم وإنشاء محاجر صحية في منطقة جليانة، كما أمَرَت بتبليط أرضية محالّ الجمارك والفندق البلدي والسجون، واستعملت مادة الجير بكثرةٍ في مكافحة الوباء؛ حيث كان يستهلك منها قرابة مئة طن في الشهر. هذا، وقد انطلقت يومئذٍ حملة واسعة من أجل القضاء على الفئران، بوصفها المصدر الأساس لتفشي المرض.

وأثناء فترة الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي، تفشى في إقليم برقة وباء الجُدري، وحصد عدداً كبيرا من الأرواح. ولعل الذي خفف من حدّة هذه الكارثة

جزئيا قيام السلطات الإيطاليين بعمليات تلقيح جماعية مضادة للجدري، ولكنهم – في الوقت نفسه– أهملوا تحصين السكان من بقية الأوبئة الأخرى؛ لذا، انتشرت بينهم عدة أمراض، في المعتقلات خاصة، وقد كان من بين هذه الأمراض وباء التيفوس، الذي أهلك ألوف الأهالي؛ ففي 1933م، انتشر في معتقل سلوق مرض حمى الهف (التيفوس اللطعي)؛ وقضى على عشرات الموتى يوميا، بل كل ساعة، حتى أنه حفرت خنادق للدفن الجماعي، الأمرُ الذي جعل المفوض المدني لمدينة بنغازي يرسل إلى إدارة الشؤون المدنية بروما رسالة، مما جاء فيها قولُه: «ما لبث الوضع أن ازداد سُوءا في مخيم سلوق، وليست هناك علامات على استقرار الوباء على ما وصل إليه، ولو تدريجيا (...). فخلال شهر فقط، زاد عدد الخيم الموبوءة بنسبة 70 خيمة (...). ويبدو لي، أنا والسيد مدير الصحة، أن فترة الانتظار، التي ظلت تُلِحّ على مراعاتها إدارتُكم، قد انقضت، دون أن يتلاشى التيفوس اللطعي، بل أخذ في الانتشار. أرجو من إدارتكم الموقّرة موافاتي بالتعليمات اللازمة، وتزويدي بالوسائل الضرورية للقضاء على الوباء». وقد قامت السلطات الإيطالية وقتَها بعزل معتقل قبيلتي العبيد والعرفة، الذي كان أكثر المعتقلات تعرضا لتفشي الوباء، بوصف ذلك من التدابير الأساسية للحد من انتشار المرض، دون أن تكلّف نفسَها معالجة المرضى، وتلقيحهم من الفيروس. ومن ضمن الأمراض التي انتشرت، أيضاً، في المعتقلات، بشكل كبير، مرضُ «العشاء الليلي»، الذي تفشّى في معتقل البريقة، وأدى إلى فقدان عدد كبير من المعتقلين بصرَهم، وبلغ معدل الوفيات بين الأطفال والشيوخ جرّاءَه 90%؛ مما دعا الحكومة الإيطالية الفاشيستية إلى نقل مقر المعتقل من مكان إلى آخر. ويُذكر، في هذا الصدد، أنّ الجنرال باريلي لم يكن يصدّق مقدار عدد الموتى، الذي وصل إلى 130 نسمة يوميا؛ لذلك كلّف أحد الأطباء بالوقوف عند مقبرة معتقل البريقة؛ ليفحص كل جثة، ويضع ختْم (ميت) عليها، قبل دفنها، حتى يتأكد من صحة عدد الموتى.

ختاماً :

بناءً على ما سبق، فإن الشعب الليبي يُعد من أكثر الشعوب التي تعرضت للأمراض والأوبئة، ولا سيما في القرنين التاسع عشر والعشرين. ورغم الإمكانات البسيطة، وحالة البؤس المستشري في البلاد يومَها، فقد اهتدى الليبيون؛ بواسطة طب الأعشاب التقليدي، إلى عدة طرق لمكافحة الأمراض. فعلى سبيل التمثيل، كان يُستعمل لمرضى (الملاريا) زيت الكافور وجذور نبات تمر العبيد (بلح الصحراء)، وكان مرضى (الأنفلونزا) تُحرق لهم أوراق نبات (أذخر) النجيلي، ليتم استنشاق الدخان المتصاعد منها، كما كان نبات الزنجبيل يُستخدم لعلاج مرض الطاعون. هذا، وقد استعمل الليبيون مادة الشاي للوقاية من أمراض الكوليرا والتيفوس. وكان حينما يفشل طب الأعشاب في حالاتٍ؛ مثل علاج مرضى السل والدفتريا، يُلجأ في العادة إلى العلاج بواسطة الكيّ؛ حيث يقوم المعالِج بكيّ المصاب بالسل في الضلع الرابعة من الأضلاع الصادقة، ليبقى المريض بعْدَها ينفث الدم والصديد ثلاثةَ أيام، ثم يشفى. أما المصاب بالدفتريا، فكان يقوم بكيّه على مستوى رأسه بمسمار. وعلى هذا النحو، استطاع الليبيون مواجهة الموت، بين الفينة والأخرى، رغم الفقر المدقع، وتفشي الأوبئة، إلى أنْ نالت ليبيا استقلالها. وتمّت مكافحة الأمراض المستوطنة بواسطة التطعيم الإجباري؛ فانخفضت نسبة الإصابة بالأمراض الخطيرة، ولا سيما الدرن والملاريا والتراخوما والجذام.

الأوبئة وتأثيرها في الأدب العالمي

امراجع السحاتي. ليبيا

لقد أدت الكثير من الأوبئة إلى تشغيل الخيال الأدبي، فاستلهم منها الكثير من كتاب الأعمال الدرامية أعمالاً درامية رائعة في كافة أنواع الدراما سواءً كانت في الشعر أو القصة القصيرة أو في الرواية وغيرها، وعلى ضوء أن الأزمات تخلق أعمالاً خالدة، فقد أبدع بعض الكتاب أعمالاً درامية خالدة خاصة كتاب الرواية مثل رواية الكاتب الأمريكي «ستيفن كنج»، ستاند ، ورواية الأمريكي «دين كونتز»، عيون الظلام، والتي سيطرت على الأكثر مبيعاً في العالم، إضافة إلى رواية الطاعون للكاتب «ألبير كامو»، والتي اعتبرت كذلك من أكثر الروايات مبيعاً في العالم، في الربع الأول من عام 2020م خاصة في ايطاليا وبريطانيا .

وهذه الروايات أحداثها وشخصياتها تتحرك داخل أوبئة، حيث أشير بأنه في بريطانيا قامت دار «بنغوين» بإعادة طباعة رواية «الطاعون» للكاتب الفرنسي «ألبير كامو»، والتي مر أكثر من سبعين عاماً على صدورها . وهناك بعض من تلك الأعمال قد نال أصحابها جوائز عالمية على الأعمال التي استلهمت من تلك الأوبئة، حيث تحصلت روايات كثيرة على جائزة «نوبل» في مجال الأدب مثل رواية «الطاعون» في عام 1957 م، ورواية «العمى» في عام 1998 م وغيرها . ومعظم هذه الأوبئة لرمز ما . نذكر في هذه الدراسة عن لمحة لبعض من تلك الأعمال .

ألبير كامو ورواية الطاعون :

«ألبير كامو»، كاتب فرنسي ولد في الجزائر في 7 نوفمبر عام 1913م، وتوفى في 9 يناير عام 1960 له الكثير من الأعمال الأدبية أهمها رواية «الطاعون» التي صدرت عام 1947م وهي مستلهمة من وباء الطاعون تخيلها الروائي ألبير كامو، أحدثها تقع في مدينة وهران الجزائرية، وزمن أحداثها في أوائل القرن التاسع عشر، وهي تروي قصة عاملين في مجال الطب في زمن طاعون بمدينة وهران . وقد أشير بان وباء الطاعون ربما كان رمزاً في رواية ألبير كامو، حيث أن وهران لم تتعرض للطاعون في أواخر الأربعينات في القرن العشرين، وأشير كذلك أنه ربما قد استلهمها من وباء الكوليرا الذي أصاب المدينة قبل مائة عام . ومما جاء في الرواية قول الراوي :-

❖ وكان الصحفي «رامبير» يرى أحياناً بهدوئه واهتمامه . فإذا أقبل المساء، امتلأت الشوارع بالجمع نفسه وامتدت الصفوف أمام دور السينما . ثم أنه يظهر أن الوباء قد بدا يتراجع ، ففي عدة أيام لم تقع إلا عشر وفيات تقريباً . على أن الوباء ما لبث أن تفاقم فجأة، وفي اليوم الذي بلغ فيه عدد الوفيات الثلاثين من جديد ...»

ويضيف الراوي مسترسلاً وصفه السردي- « .... نظر «برنار ري» إلى البرقية الرسمية التي بسطها أمامه المحافظ وهو :» أنهم خائفون « وكانت البرقية تحمل هذه العبارة «أعلنوا حالة الطاعون . اقفلوا المدينة».

وقد أشار عدد من النقاد أن ألبير كامو قام

باستخدام الطاعون كرمز للغزو الألماني لأوروبا بدافع الأيدولوجيا النازية التي جاء بها هتلر من اجل الإبادة الجماعية . كما أشار بعض من النقاد كذلك بأن الرواية كأنها رمز لمدينة «باريس» حين كانت تحت السيطرة الألمانية النازية في الأربعينات من القرن العشرين . وهو بذلك يوصف النازية بالطاعون .

بالنظر إلى هذا العمل نجد أن الروائي من ضمن الذين نجو من طاعون عام 1918م وكانت طفولته في تلك الفترة ، إضافة إلى أن هذا الوباء قد ترسخ في فكره منذ الصغر من أسرته التي عاشت مرحلة انتشار الطاعون في عام 1918م ، إضافة إلى ذلك عاش طفولته في جو حرب طاحنة كانت فرنسا جزءاً منها، وهي الحرب العالمية الأولى -1914 1918م ، إضافة إلى ذلك عاش شبابه في أجواء الحرب العالمية الثانية، إضافة إلى اطلاعه على التاريخ الذي يعتبر مصدر من مصادر الأعمال الدرامية .ولهذا فان انتشار الأمراض والموت كانت من الوباء ورجال الحروب، وهنا فإنه قد يقصد النازية فعلاً، ولكن بشاعة وباء عام 1918م وتردد الحكايات عليه من قبل أقاربه ربما انه كان يقصد وباء الطاعون لأنه افتك من البشر إضافة ؛ لأنه عدو لا يمكن للشخص أن يراه ويهبط عليه فجأة دون سابق إنذار، ولو كان يقصد هتلر والنازية لبادر بذلك دون تردد ؛ لأن هتلر لم يعد موجود أثناء صدور هذه الرواية .

جوزبه دي ساراماغو ورواية العمى :

«جوزيه دي سوزا ساراماغو»، وهو كاتب برتغالي ولد في 16 نوفمبر من عام 1922م وتوفى في 18 يونيو عام 2010م ، له الكثير من الأعمال الأدبية منها «أرض الخطيئة» عام 1947م ، «قصائد محتملة» عام 1966م، «ربما الفرح» عام 1970م ، ورواية «العمى» عام 1995م والتي نال بسببها جائزة نوبل للأدب عام 1998م . في روايته «العمى» تعرض إلى الكثير من الأمراض في المجتمع الذي حدثت فيه روايته، وكيف أنها تؤثر في المجتمع وحكوماته، وقد ركز ــ وفق ما أشير ــ إلى تبدل السلوك بتبدل الظروف وتغيرها . تدور أحداث هذه الرواية في إحدى المدن التي أصابها وباء غامض أعمى سكانها فتدخل الجيش من أجل الحد من الوضع فيه،ا إلا انه يتخلى عنها فيتدخل المجرمون في المدينة وتصبح تحت رحمتهم . في احد أساليبه السردية الوصفية لروايته «العمى» التي فيها إشارة للوباء نأخذ المقطع الذي يقول :-

❖ « تبدي الحكومة أسفها لاضطرارها إلى القيام بالسرعة القصوى لما تعده واجبها الحق، لحماية الشعب بكل الوسائل الممكنة في هذه الأزمة الحالية، التي تبين أنها تحمل مظاهر وباء عمى أبيض يعرف مؤقتاً بالمرض الأبيض « .

من ضمن الشخصيات الرئيسة التي لا تصاب بالعمى زوجة احد الشخصيات الرئيسة، وهو الطبيب ، ومن ضمن حبكة الرواية وأحداثها تتظاهر بأنها مصابة بالوباء فتحتجز مع زوجها الطبيب المصاب في الحجر الصحي، تحاول أن تساعد على تنظيم المجمع التي هي فيه إلا أنها تفشل بسبب الطبيعة الحيوانية للمجمع حيث تظهر ممارسات غير جيدة داخل المجمع، وتتشابك الأحداث وتنتهي برحيل الوباء عن المدينة . وتتشابك وتتدخل الأحداث في الرواية إلى أن تنتهي .كان صراع الرواية تحت ظل مظلة وباء العمى . وقد تخيلها «ساراماغو» واستلهمها من الأوبئة مثله

مثل غيره من الكتاب .

أمير تاج السر و رواية ابيولا 76 :

هذه الرواية كانت أحداثها عام 1976، ومكان أحداثها بين جنوب السودان والكونغو، في هذه الرواية يتحدث الروائي «أمير تاج السر» من السودان عن انتشار مرض ابيولا، حيث أشار في روايته إلى انتشار الحمى النزيفية والتي كان سببها فيروس ابيولا، صور لنا فيها حالة المجتمع الذي تدور فيه أحداث الرواية، وكيف أن هناك إهمال من قبل الحكومة إعلامياً وتنظيماً، وكيف أن قبائل جندت سحرتها المعتقين وزودتهم بخامات التعاويذ لتعقب هذا الوباء ومنازلته للقضاء عليه .

غابرييل ماركيز ورواية الحب في زمن الكوليرا :

كاتب كولومبي حائز على جائزة نوبل للأدب عام 1982 عن روايته «الحب في زمن الكوليرا». تتحدث رواية «غابرييل» التي صدرت له في الثمانينات عن لوعة الحب ولعنة الحرب وجائحة وباء الكوليرا التي مرت بأبطال الرواية والمجتمع الذي حدثت فيه الرواية، تبدأ الرواية بعلاقة حب بين فتى وفتاة يتم التفريق بينهما، فتتزوج الفتاة، ويغادر الفتى منطقتها . تدور الأحداث وتتشابك ويقوم بطل الرواية «فلورينتينو اريثا» بعمل سري هو كتابة رسائل حب مختلفة ويرسلها إلى عشاق كثر فيها نصائح وآمال للعاشقين لتخفيف من ألآمه بسبب الحب . تتداخل الأحداث وتتشابك في بعضها وبعد نصف قرن يلتقي بطل الرواية مع بطلة الرواية من جديد . لقد وضح الروائي غابرييل غارسيا ماركيز وباء الكوليرا في روايته بأنه يشابه الحروب الأهلية، وركز على الحب تاركاً وباء الكوليرا والناس في رعاية الله . ربما أن رمز هذا الوباء المقصود به الحب نظراً لمعاناة بطل الرواية منه. وما يشير للوباء في الرواية مثلاً هو المقطع الذي سأل فيه بطل الرواية قبطان السفينة حين كان هو وحبيبته على ظهر إحدى السفن التي كان راكباً بها، وهو مالكها حين كانت تعبر نهر «ماغدالينا» عندما كانت الحركة بطيئة في مرافئ النهر، فقد سأله عن السبيل لشيء يساعدهم في تجاوز هذا التوقف فقال له القبطان :-

« السبيل الوحيد الذي يتيح القفز فوق كل شيء هو وجود مصاب بالوباء على متن السفينة » .

عندها رُفع العلم الأصفر إشارة أن هناك مصاب بوباء الكوليرا. المكان حقيقة. لم يحدده الكاتب بالتحديد إلا أنه أشير إلى أنه ربما كان يقع على البحر الكاريبي ونهر ماغدالينا، وأشير بأن المدينة يمكن أن تكون قرطاجنة الكولومبية، وأشير بأن زمن الرواية كان خلال الفترة ما بين 1880 و1930م.

دين راي كونتز ورواية عيون الظلام :

الكاتب من مواليد التاسع من يونيو عام 1945م في منطقة ايفيريت بولاية بانسيلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية أمريكي الجنسية ، له الكثير من الأعمال الدرامية منها على سبيل المثال رواية «مرايا الدم»، و«صوت الظلمات»، و«الطاعون الرمادي»، و«قناع النسيان»، و«فرانكشاين 2»، و«أود توماس الغريب».

لقد كانت روايته «عيون الظلام» من الروايات التي كانت أحداثها عن أخطار الفيروسات، حيث أشير بأن الرواية توقعت وباء كورونا منذ نشرها عام 1981م ، والكثير من المحللين أشاروا بأن «دين كونتز» ربما كان يملك معلومات سرية حقيقية استثمرها في استلهام رواية «عيون الظلام» ، وأشير بأنها عمل استباقي ولكن هذا

في اعتقادي شيء بعيد الاحتمال، والشيء الحقيقي هو أن «دين كونتز» ربما كان قارئاً جيداً للتاريخ، خاصة وأن الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، بل العالم قد مر عبر العصور بأوبئة كثيرة صارت فيما بعد ملهمات لكتاب الأعمال الدراما بكافة أنواعها والتي منها الرواية .

لقد وصف الكاتب في هذه الرواية الفيروس بدقة، ومن سرد الرواية ووصفها صّور الروائي شخصاً يصاب بهذا الفيروس فتظهر عليه علامات المصاب بالدوار الذي يشبه الدوخة، بعدها يأتيه أحساس هستيري يتطور بعد كل فترة وأخرى، مما يدفع بالمصاب إلى تمزيق ملابس الأطباء الواقية الذين حضروا من أجل نقله إلى الحجر الصحي أو العزلة، بعدها يموت المصاب بسرعة، وهذا كان من ضمن أحداث الرواية ،وتشابك الأحداث .

أشير بأن الحرب الإيديولوجية ضد الصين واضحة في هذه الرواية . وأشير بان الفيروس «يوهان 400» هو فيروس خطير ومعدي، وهو باستطاعته أن يقضي على الشخص الذي يصاب به في غضون أربع ساعات، وأشير بان المصاب به لا يعيش أكثر من يوم على أقل تقدير . وحقيقة الحرب ضد الصين ليست جديدة عند انتشار الأوبئة، فقد اتهمت الصين في انتشار الأنفلونزا عام 1918 م من قبل الانجليز والفرنسيين، حيث عزوا سبب تفشي وباء الطاعون أو الموت الأسود من بعض الصينيين الذين كانوا يعملوا خلف خطوطهما في أوروبا أثناء الحرب العالمية الأولى، وهذا قد يكون سبباً في استلهام مثل هذا المشهد . وتلك الفرضيات تستعملها الآن الوسائل الإعلامية الأوروبية والأمريكية للحرب الفكرية ضد الصين بحيث أنها غيرت بعض المصطلحات بها وإضافة كلمات ومصطلحات جديدة مثل «يوهان 400» والذي كما تشير المصادر لم يكن موجوداً في الطبعات الأولى، حيث كان اسم الفيروس «غوركي» روسيا 400 حيث حول في الطبعات الجديدة إلى «يوهان 400»، وقد سوقت له دور النشر ليحقق أرباحاً، إضافة إلى الحرب الفكرية ضد الصين ولزيادة الإثارة والدهشة للقراء من خلال التغيير، كما أشير بأن ذلك ما هو إلا نظرية المؤامرة . هذه الرواية أخذت مساراً معيناً من 1981 إلى 2008 م كان فيها اسم الفيروس غوركي «روسيا 400» ، في الطبعات الجديدة تحول اسم الفيروس إلى «يوهان 400» ، وقد أشير بأن هذه لعبة مركبة من اجل الكسب المادي والسياسي .

من خلال ما تقدم نجد أن القوة الاقتصادية الغربية والأوروبية والأمريكية توظف وباء كورونا ضد الصين لينهار اقتصادها الذي عانت الكثير قبل أن تنعشه بعد احتلالها من اليابان وبريطانيا .

وأخيرا نلاحظ أن معظم الأعمال الدرامية التي كانت أحداثها تتحرك داخل الأوبئة معظمها قد استلهم من التاريخ باعتبار أن التاريخ أحد مصادر الأعمال الدرامية مثل رواية «الطاعون»، إضافة إلى أن هناك أعمالاً درامية عاش أصحابها داخل تلك الأوبئة فأخذتهم فكرة الأعمال المأخوذة من التاريخ ونسجوا على ضوئها أعمال درامية مثل رواية «ايبولا 76» .

ونتوقع بخروج وباء كورونا بروز إبداعات درامية وعلمية في كافة أنحاء العالم بتأثير من هذا الوباء مثلما أثر الطاعون والكوليرا وغيرها من الأوبئة في الماضي على العديد من كتاب الأعمال الدرامية واخرجوا بسببه الكثير من الأعمال الدرامية .

عندما يتغول الوباء

رمضان العوامي . ليبيا

لقد شهدت منطقة الشمال الافريقي ـ بما فيها ليبيا ـ عدة جوائح ماحقة، من مجاعاتٍ وأوبئة، إبان القرون الماضية، وقد نقل لنا بعض الرحالة والمستكشفين من عربٍ وأجانب، صوراً رهيبة عن تلك الجوائح ، كما اوردها بعض المؤرخين، وقد اورد منها الباحث التاريخي الليبي الراحل –داوود حلاق – رحمه الله الكثير منها في مؤلفاته عن أحد المؤرخين، مثل ما نقله عن مرض الطاعون عفاكم الله حيث يورد ما نصه :(....وقد انتشر بسرعة في أوروبا الجنوبية الي أوروبا الشمالية تاركاً آثاراً هائلة، فقد ذهب فريسة له نصف سكان أوروبا 50- % – وفقدت بعض المدن أربعة أخماس سكانها، وأخليت قري نهائياً..... ولعل موجات ذلك الطاعون خلال تلك الحقب التي تقدر بحوالي -400- أربعمائة عام من – 1348م الي 1730م – وجدت لها منفذا من خلال المراكب الوافدة من أوروبا الي مرافئ الجبل الأخضر بين حين وأخر، أو من خلال مرافئ الشمال الإفريقي بصفة عامة) ( ).

ويضيف :

(تفشى الطاعون في مصر عام – 949هـ / 1445م، واكتسح الطاعون ليبيا ومصر وتونس عام (873هـ/1468م، واجتاح الطاعون طرابلس وتونس عام (899هـ/1493م.

دب في مدينة درنه الليبية عام 1816م ، وكان عدد سكانها – -7000 سبعة الاف نسمة فقضي علي ستة الاف وخمسمائة نسمة ،ولم يبق من السكان سوي خمسمائة شخص ليس أكثر..) ( ).

وفي السياق ذاته لابد وأن نمر ولو في عجالةٍ، علي بعض الاقتباسات التاريخية التي تطرقت لأحوال تلك المجاعات المهلكة، والتي كانت تعصف بالمنطقة بشكل كارثي بين فترةٍ وأخري، وذلك لنعي مدي أهوال تلك الحقبة ، ومشاهدها المرعبة ، حيث ينقل لنا نفس المؤرخ ما نصه :

(إن هذه الشدة التي اصابتهم – وكانت الشدة دوام الغلاء في جميع بلاد المغرب من سنة 1142م – الي هذه السنة 1147ف ، فان الناس فارقوا البلاد والقرى ودخل أكثرهم الي مدينة صقلية ، واكل الناس بعضهم بعضا ، وكثر الموت في الناس !!!) ( ).

هذا المقطع المنقول عن «ابن الأثير» اختصر فيه وصفاً لحالة الناس في غرب البلاد، آما ما يجري في شرقها فنلتمسه في هذا النص ، حيث نقل عن «عبد اللطيف البغدادي» ما دوّنه حول الأحداث المفزعة التي ابتلي بها القطر المصري بحلول عام 1198م

((إن الناس آكلو الميتات والجيف والكلاب الارواث، ثم تعدوا ذلك الي أن أكلوا صغار بني آدم، فكثيراً ما يعثر عليهم ومعهم صغار مشويون او مطبوخون، فيأمر صاحب الشرطة بإحراق الفاعل لذلك..))

إلي آن يقول :

((إن تلك الأحداث كنت أفرُ من رؤيتها لبشاعة المنظر، فكثيراً ما كانت المرأة تتملص من صبيتها في الزحام فيتضورون حتي يموتوا، وأحرقت في أيامٍ يسيرة ثلاثون امرأة، كل منهن تقر أنها أكلت جماعة ، فرأيت امرأة أحضرت الي الوالي وفي عنقها طفل !!!)) ( ).

وينقل عن «ابن الأثير» أيضاً ما حدث سنة

1200م. :

((في هذه السنة اشتد الغلاء بالبلاد المصرية لعدم زيادة النيل ، وتعذرت الأقوات حتي أكل الناس الميتة ، وأكل بعضهم بعضاً ، ثم لحقهم عليه وباء وموت كثير افني الناس) ( ).

ولإيضاح هذا السياق يذكر أن «المستنصرية» هو مصطلح يطلق على مجاعةٍ حدثت بمصر نتيجة غياب مياه النيل بمصر لسبع سنين متواصلة، عرفت بالعجاف نهاية عصر الخليفة الفاطمي «المستنصر بالله» في مستهل النصف الثاني من القرن الخامس الهجري من تاريخ الدولة الفاطمية في مصر 1036 – 1094 .

ونورد في هذا الشأن ما ذكره المؤرخ المصري «تقي الدين المقريزي» في كتابه «اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء « والذي كان معاصراً لتلك الجائحة فيقول :

((ظهر الغلاء بمصر، واشتد جوع الناس لقلة الأقوات في الأعمال وكثرة الفساد، وأكل الناس الجيفة والميتات، ووقفوا في الطرقات فقتلوا من ظفروا به، وبيعت البيضة من بيض الدجاج بعشرة قراريط وبلغت رواية الماء ديناراً، وبيع دار ثمنها تسعمائة دينار بتسعين دينار اشترى بها دون تليس دقيق ، وعم مع الغلاء وباء شديد، فانقطعت الطرقات براً وبحراً إلا بالخفارة الكبيرة، وبيع رغيف من الخبز زنته رطل في زقاق القناديل كما تباع التحف، وبيع أردب قمح بثمانين ديناراً، ثم عدم ذلك كله، وأكلت الكلاب والقطط، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير.))

ويضيف :

((وفيها تصحرت الأرض وهلك الحرث والنسل، وخطف الخبز من على رؤوس الخبازين، وأكل الناس القطط والكلاب، حتى أن بغلة وزير الخليفة الذي ذهب للتحقيق في حادثة أكلوها، وجاع الخليفة نفسه حتى أنه باع ما على مقابر آباءه من رخام .))

كما نشرت مجلة التايم الامريكية عام 1947 تحقيقاً صحفياً جاء فيه أن أول مظاهرة نسائية في العالم قامت بها سيدات مصريات في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله حين جفت مياه النيل، وأن قائدة المظاهرة كانت أرملة الأمير «جعفر ابن هشام»، وبالبحث عن ما ذكرته الـ تايم وجدت الواقعة المذكورة في كتاب المقريزي وفيها كتب يقول :

((ومن غريب ما وقع ، أن امرأة من أرباب البيوتات أخذت عقداً لها قيمته ألف دينار، وعرضته على جماعة في أن يعطوها به دقيقاً ، وكل يعتذر إليها ويدفعها عن نفسه إلى أن يرفعها بعض الناس، وباعها تليس «شوال» دقيق، وكانت تسكن بالقاهرة، فلما أخذته أعطته لمن يحميها من النهابة اللصوص في الطريق، فلما وصلت إلى «باب زويلة» تسلمته من الحماة ومشت به قليلاً ، فتكاثر الناس عليها وانتهبوه نهباً، فأخذت هي أيضاً مع الناس ملء يديها، ولم ينبها غيره، ثم عجنته وشوته ، فلما صار قرصة أخذتها معها، وتوصلت إلى أحد أبواب القصر، ووقفت على مكانٍ مرتفع، رفعت القرصة على يديها بحيث يراه الناس، ونادت بأعلى صوتها : يا أهل القاهرة .. أدعوا لمولانا المستنصر الذى أسعد الله الناس بأيامه ، وأعاد عليهم بركات حسن نظره حتى تقومت «حصلت « على هذه القرصة بألف دينار « فلما وصل الخبر للحاكم امتعض ، وأحضر الوالي وتهدده وتوعده ، وأقسم له بالله جلت قدرته أنه إن لم يظهر الخبز في الأسواق، وينحل «يرخص» السعر ضرب رقبته.

لعل في هذه الأمثلة دليلا علي أحوال الأقاليم المحيطة ببلادنا إبان تلك الفترات المهلكة، ومما لاشك فيه إن أحوال الجدب لم تنج منها بيئتها أيضا ، ولكن مواجهة تلك الشدائد بالاكتفاء بالقليل من الغذاء والكثير من الصبر ، حال دون الانخلاع عن الطبائع البشرية.

لوتشيا

محمد بوعجيلة. ليبيا

وأنا
في الحقيقة لا أعرفك.
سمعت والدي يتحدث عنك
يصف بشاشة وجهك
حركة حاجبيك
ابتسامتك
كهلال عمره ثلاثة أيام.
أصابني إحباط شديد لأننا لم نلتق
أو ربما التقينا لكنني لا أذكر
يقول والدي :
كلنا أطفال في حضرة لوتشيا
التي تحتضن مرضاها
التي تبتسم
التي تمسح بكفها
لتزيل الخوف من على قلوبنا
التي دائما تقول :
« لا تخاف عزيزي
كل شيء سيكون على ما يرام»
أنا يا لوتشيا
صنعت وجهك في رأسي
رسمت ملامحك
في مخيلتي
كالأعمى
الذي لا يملك من حبيبه
سوى الخيال
ولك أن تتخيلي
طفلاً يرسم وجه ممرضة
وفماً على هيئة هلال
لقد كانت خريطة مضحكة بالفعل
لكنها كانت كافية لأحملها معي إلى
المدرسة
لأخبر معلمتي أن عائلتي تعرف امرأة
أجنبية
إيطالية جميلة
تشبه القديسات
و الملائكة
هكذا شاهدتك ذات خيال
تحصلت بالصدفة على صورة لك
عرفت أن الإحباط
يمكنه أن يصنع أفكاراً مضحكة
وخرائط مزعجة
خرائط على هيئة حذاء
داخلها أناس يغنون للحياة
يبتعدون عنها
فتأتهم الحياة من الشرفات وترقص
نصيحة يا رفاق
لا تصنعوا أشيائكم
وأنتم محبطون
فلكم أن تتخيلوا لوتشيا
وهي تحصي الضحايا
تدفع بنفسها إلى الموت
في سبيل النجاة بأبناء جلدتها
لوتشيا التي فعلت ذلك
في مدينة البيضاء
كل أزهار الربيع تعرفها
تعرف أن قلوبنا معها
رغم أنها علينا.
سيزول كل هذا الهم
نعود والحياة
نتجول في شوارع لامبارديا
نرسل للعالم برقية
ننشد
بيللا تشاو بيللا تشاو تشاو تشاو
لوتشيا
إنني تخيلتك
وأنك أجمل مما تخيلت.

في شارع الكورونا:

منار عبد العاطي . ليبيا

يعيش العالم هذه الفترة حالة تخبط كبيرة بين : هل هذه حرب بيولوجية أم غضب إلهي؟

أولا: بهذا الصدد تكثر التفاسير والأحاديث ويكثر إنتاج الفتاوي، وتبدأ الانقسامات الفكرية، الناس انقسموا إلى العديد من التوجهات الفكرية، أي أن هذه الفترة أظهرت باطن الفكر الإنساني أكثر ما كان عليه سابقاً، مثلا: الشارع العربي أصبح: فئة لا مبالاة، وهي الفئة المتواجدة في منصات التواصل الاجتماعي التي ترسل الملصقات المضحكة ردوداً على خوف البعض، وهم نفسهم الفئة الموجودة في الشارع، وتضحك على الذين يرتدون الكمامة الوقائية في بداية الأحداث في يناير وفبراير الماضيين.

«الاستهتار» واضح جداً، إنما الفئة الأخرى فهي فئة تعيش هلع كبير وتتنقل بالمعقمات كالكحول والكمامة والقفازات، يعيشون الوسواس ويعيشون الحرص الشديد، من شدة اهتمامهم، أشعر بأنهم تحولوا إلى مختصين في هذا المجال، يطبقون الإرشادات بدقة، بينما الفئة الثالثة هي التي تتمثل في مجموعة من أشخاص يمارسون اللا مبالاة، وتشعر بأنهم يعيشون في عالمٍ آخر، لا يهتمون بتعقيم أنفسهم، ولا يبدون أيَ ردود أفعال، لا إيجابية ولا سلبية.

ثانيا: العالم يعيش توتراً غير طبيعي، ولكن، لماذا لا نلتفت إلى شئ بسيط وهو أن نسبة الوفاة من هذا المرض الفتاك غير كبيرة، فهو لن يكون بذلك الحجم المريب للطاعون الذي ضرب مدينة «مرسيليا» الفرنسية، وقتل مئة ألف شخص في أيام، ولا بالكوليرا التي حصدت أرواح البشر في الفيليبين وتايلاند وإندونيسيا حيث حصدت مئة

ألف وأكثر، ولا بالإنفلونزا الإسبانية التي كانت كارثة بشرية حيث أن عدد ضحاياها تجاوزوا مئة مليون، وسط عجز عن إيقافها، واليوم، الإعلام يضخم كابوس كورونا ويشل الحركة الاقتصادية العالمية.

علينا تذكر التالي حتى نفهم جيداً ماذا يحدث: الإنفلونزا الأسيوية وحمى النهر الغربي وانفلونزا الطيور وإنفلونزا الخنازير، تلك الفيروسات المخلّقة في المعامل التي حذرت منظمة الصحة العالمية منها، وفزع العالم حينها.

وبالتالي عندما نقارن هذا الفيروس بمعدل الوفاة منه اليوم مقارنة بأمراض فتاكة أخرى فإنه وصل لـ ٢٪، بينما الأشد منه فتكاً الالتهاب الفيروسي «سيرس» بمعدل ٣٠٪، و«الإيبولا» بمعدل ٧٠٪، بينما «سارس» الذي أحدث ضجة كبيرة كان بمعدل ١٠٪.

الجدير بالذكر هنا ــ على خلاف فيروس كورونا المستجد ــ أن العالم لا يخاف سوى من الحرب البيولوجية، الحرب الدسيسة الفتاكة، أهي حرب عالمية ثالثة بحلة جديدة؟، حرب من دون تكاليف لتصنيع أسلحة، الحرب التي خلفها دائماً علامات استفهام، أهي حرب الدول الرأسمالية لكي تنعش اقتصادها أم هي حرب لفرض القوة والهيمنة!.

بجانب هذه الشكوك التي تتمرجح بين الحقيقة والزيف، شعوب العالم لم يلتفتوا ولم يخافوا من مهدرات البشرية الحقيقية كحوادث الطرق والانتحار التي تقتل الآلاف سنوياً، ولم يحركوا ساكناً، ولم يبدوا كل هذا الرعب، أهو بسبب التكرار ؟ وهل أصبح الموت شيئاً عادياً ؟ أم هو قلة اهتمام الإعلام بهذا الجانب مما أفقده قيمته؟

الإعلام في الفترة السابقة، أصبح شغله الشاغل الحديث عن الإصابات والمستشفيات والحجر الصحي وإيقاف الملاحة وسقوط الاقتصاد وتدهور الأحوال الاجتماعية و خلاء الشوارع وكيفية العناية الصحية وتجنب المخالطة وحظر التجول وغيرها الكثير، نتيجة لذلك، وفي هذه الفترة فإنه أشعل نار التدهور النفسي للشعوب، حيث أصبح الملايين ينتظرون حتفهم في حالة هلع، فأنا شخصياً مررت بحالة تدهور نفسي غير مسبوقة لي على الإطلاق.

حالات انقسام : أيظهر الإنسان في الأزمة على طبيعته البشرية الحقيقية ؟

يقول «كارل ماركس» إن الإنسان بطبيعته همجي وعنيف ولكن سلوكيات المجتمع تأدبه، من هنا يبدو أن ماركس يقول إن الطبيعة البشرية ليست أكثر مما تنتجه «العلاقات الاجتماعية،» بينما يقول «جان جاك روسو» إن الإنسان يولد بريئاً بطبيعته، ثم البيئة المحيطة به تشكل شخصيته، أي أن المجتمع هو من يغير صفاته الحسنة إلى أخرى، من خلال هاتين النظريتين آمنت بأن كلاهما صحيح، كيف؟ الشارع اليوم به الفئتين، فئة همجية استهلكت جميع المواد الغذائية من المتاجر الغذائية خوفاً من تمديد مدة المكوث في البيت دون الانتباه إلى أن هذا التصرف قد يؤثر سلباً على الغير، هنا ظهرت الهمجية البشرية في ظل غياب بسيط للقانون، وأيضاً من هذه الفئة التجار وأصحاب رؤوس الأموال الذين تحكموا في أسعار المواد الصحية والأدوية وغيرها حتى يستفيدوا من الأزمة، بينما على الجانب الآخر كان الأشخاص ذو الخلق الذين يخافون على أنفسهم وعلى المجتمع لأنهم نشأوا في بيئة سليمة علمتهم القيم، بدأوا في شراء احتياجاتهم فقط، ومنهم من بدأ في نشر الوعي من خلال منصاته الاجتماعية، وتعاملوا مع هذه الآفة على أنها ستمر مثلها مثل غيرها، هنا، هذا هو الثبات والمسؤولية في الأزمات، فاليوم ينقسم العالم إلى إيجابي وسلبي من جميع الجهات التي إن دلت فستدل على فكر الإنسان ومدى وعيه دون وحشية ودون تهور حفاظاً على نفسه وغيره.

وفي النهاية علينا أن نتكاتف من أجل حل هذه الأزمة والحفاظ على مجتمعنا الصغير وعالمنا الكبير لنصل إلى بر الأمان.

سينوغرافيا للمشهد اللغوي

فراس حج محمد فلسطين

يشير مصطلح «السينوغرافيا» إلى تصميم فني أو تقني، يتضمن تصميم عناصر مشهدية وتنفيذها، بالإضافة إلى تصميم ملابس الممثلين وما حولهم، وهي استعارة من الفن المسرحي أو السينمائي، كما تحيل إلى مشهدية واقعية للغة المعاصرة التي تسيّدت بحضورها المشهد اللغوي الخاص والعام بفعل المستجدات الأخيرة التي سببها إعصار كورونا الذي ضرب دول العالم قاطبة أو كاد.

لقد ساهمت حملة التحذير من كورونا في إشاعة قاموس لغوي أصبح متداولاً على ألسنة الكبار والصغار والمثقفين وعامة الناس، يبدأ من اسم الفايروس ملحقا بالتوضيح (كوفيد 19) إلى جملة من الأوصاف التي تبدأ بالمرض فالوباء، وصولاً إلى الجائحة، وانتقالاً إلى المصابين والمخالطين والمتعافين، ذهاباً إلى الأدوات الصحية المرتبطة بمكافحة الوباء من الكمامات والقفازات والمعقمات إلى الإجراءات والسلوكيات البشرية الفردية والحكومية من فرض الحجر الصحي المنزلي، وما فرضه من مصطلح «التباعد الاجتماعي» الذي يتطلب التباعد الجسمي بين البشر لمسافة أدناها متر، وربما وصلت إلى مترين أو ثلاثة في بعض الدول. وانعدمت المصافحات والقبل بين الأحباب والأصحاب. لقد وضع الفايروس أو الإعلام المصاحب للفايروس البشر كلهم في أزمة التوجس من الذات ومن الآخر على حد سواء.

هذه المشهدية اللغوية المفزعة من تصوير الفايروس وخطورته فرضت أيضاً مشاهدها على الصورة المواكبة لها في الإعلام المرئي، فصار مألوفا رؤية البشر مكممين ومقفزين ومسربلين بملابس واقية، ورؤية أدوات التعقيم الذاتية والجماعية وآلياتها ذات الخراطيم التي تذكر بمشاهد مكافحة الشغب أيام المظاهرات، عدا أن اليوم الخراطيم تبث موادها على عدو لا مرئي قد يفاجئ المسؤولين فيقف على أنوفهم غير مبال بكل تحركاتهم. مشهدية بكل واقعيتها تحيلك إلى سوريالية من التخييل الذي لم يكن أحد ليتوقع أن تكون حقيقية.

في هذه المسرحية التي أجبرت البشرية أن تدخل في (سيناريوهاتها) سريعاً، وهي غير مستعدة الاستعداد الكامل وكل عدتها قاموس لغوي معبأ بالموت المحتمل والإصابات والأرقام التي تتضاعف، ولن يثبت عدّادها الذي دائماً يشير إلى الارتفاع كل ساعة، بل هو مرشح للارتفاع كل دقيقة، وبقفزات عالية من رقم مكوّن من منزلتين ليصبح ذا ثلاث منازل أو أربعة وهكذا دواليك حتى تصبح المتوالية العددية فوضوية لا تسير برتابة ما، بل تحاول في كل مرة أن تكسر القانون وتتخطاه إلى قانون آخر لا شيء يحكمه سوى التغير والتبدل الدائم.

وفي الصورة المقابلة لهذه المسرحية الجادّة التي تجسد المأساة البشرية بكل ما تحمله من ألم وخوف وعزلة وانكفاء وموت، تبرز صورة أخرى عابثة تجسد واقعياً مسرح العبث، حيث مواجهة هذا الجنون الفيروسي بالسخرية والتهكم وصناعة النكتة والطرفة والرسومات غير المبالية التي تحقّر الفايروس. مشهدية محزنة قد تكون مضللة نوعا ماً، إذ تحمل في طياتها أحد أمرين، أما الاستهتار الفعلي بالفايروس وواقعيته وخطورته، وما يجره هذا الاستهتار من مضاعفة عدد الضحايا، وأما أنها تؤدّي معنى معاكساً تماماً في تجسيدها للخوف على طريقتها إلى درجة محاولة هزيمته بالسخرية والتحايل على الذات قبل شعورها بفقدان السيطرة عليه. إذ لو فقدت السيطرة في التعامل مع هذا الواقع واستسلمت له سيكون الأمر أكثر مدعاة للسخرية والتهكم الأسود، باعتباره قدراً لا راد له. وهنا تصبح السخرية نوعاً من الشماتة الذاتية والقدرية والتسليم لقضاءٍ مخيف، لنقع تحت رحمة الفايروس الذي قد يتخطانا ليس إلّا، لأننا فزنا بفرصة أخرى من الحياة، وليس لأننا على وعي ودراية، كما حصل مثلاً مع ناجين بأعجوبة من مجزرة أو حادثة تحطم طائرة، أو أولئك الذين نجوا من موتٍ محقق في أمراض سابقة كالطاعون. هكذا دون سبب واضح يصبح الناجون من فكي الفايروس ومخالبه «ناجين» بقدرة قادر مع عدم إبداء الأسباب لأنها غير واضحة، ليكتسبوا هم أيضاً بهذا الفعل معنى «مسرحياً» ذا دلالة مهمة في «الإخراج العالمي».

لقد ساهم الفايروس بجبروته هذا المتعدد الوجوه في صناعة اللغة المشهدية، وحطمت تلك المشهدية الفوارق التي كانت حادة بين الواقعي والخيالي، وأفقدت العالم ما كان يظنه أنه قد سيطر على الطبيعة سيطرة كاملة، لقد «أسقط في يده»، وأصبح عاجزاً، وأعاد البشر المتكبرين إلى أحجامهم الطبيعية، كأن هذه المشهدية تحقق رؤيا «فرانز كافكا» في «المسخ»، ليس على صعيد فردي فقط، بل على صعيد الجنس البشري كله، فلم يعد هناك ما هو محصن ضد هذا الفايروس، فقد وحّدت هذه «الجائحة» العالم لغة وصورة ومشهدية، فلا الغرب مختلف عن الشرق، ولا الجنوب له صورة مغايرة عن الشمال، فالعالم في كل بقاع الأرض يسمعون اللغة ذاتها ويتداولون القاموس ذاته، ويعيشون في صلب هذه المسرحية، فلا أحد بمنأى عنها، والكل بطل، كما أن الكل ضحايا بمعنى أو بآخر، فإن لم يكن ميتاً فهو مصاب أو محجور، أو محجوز أو أنه على أقل تقدير يمارس تلك اللغة التي فرضت عليه فرضاً لا حول له بها ولا قوة، وأعادت تلك اللغة إنتاج مقولات سابقة ولكن بفحوى ثقافي وسياقي جديدين، وأعادت إلى المشهد أيضا أعمالاً أدبية كانت غائبة عن الوعي، فإذا بهذه «اللغة» قادرة على إيقاظ أخواتها المخزونة في الأعمال الأدبية، فصارت أيضاً هذه الأعمال تتسيد الواجهة الثقافية كأنها تعاضد اللغة الإعلامية وتتساوق معها في سينوغرافيا متصلة ومتعددة تؤدي الأهداف ذاتها من أجل إرعاب البشر، عدا ما انتشر في مواقع التواصل الاجتماعي من فيديوهات محرضة باللغة ذاتها وتستحضرها، وكأن العالم يعيش (كرنفالا) لغوياً، وقاموساً مشبعاً بحقوله الدلالية اللازمة للتعبير عن أمر واحد فقط، هو «فايروس كورونا» وتبعاته الخطيرة على البشرية جمعاء.

الزمن الصعب

ثريا درويش.

في زمن الكورونا ..

المدينة صحراء والبشر سراب .

أنين الأشباح الصامت

يخترق الناي ..

ويضيف لحن الموت المتأني

يختال بثقة الجرح المفتوح

سهام لالون لها

بين الأنفاس تنزلق

وينزلق الزمن للهاوية

الأفراد متناثرة

خلف الأسوار ضاقت كقبور

واسعة بقلب أم وأب

بطفل وبعض اللعب

الضجر هنا ينتصر

ويخبر العقل بشيء مستجد

طريق خضراء تفتح

ببصيرة الضجر.

الموت القادم من الصين

الكاتب أيمن دراوشة . الأردن

لا داعٍ للتعريف بفيروس كوفيد19-، فقد أصبحنا نعرف كيف ظهر وكيف انتشر، كما أصبحنا نعلم ما أعراضه، وما مدى خطورته على العالم أجمعين، وأيضاً كيفية الوقاية منه في ظل عدم وجود علاج متفق عليه لغاية الآن.

حصد الفيروس القاتل الآلاف من البشر، وتجاوز المليون في عدد الإصابات، وما زال

مستمراً في إصاباته وقتله لأجل لا يعلمه سوى الله سبحانه وتعالى.
ويبدو جليًا أنّ العالم قد فقد السيطرة ، على الرغم من أنّ العلماء والأطباء يحاولون جاهدين في التوصل إلى ترياق يخلص العالم من هذا الوباء الكارثي، لكن لا فائدة ، فالأدوية المطروحة لم تثبت نجاحها، وسوء إدارة المسؤولين زادت الطين بلة، مما ساعد على هذا الانتشار المهول، حسب الإحصائيات التي ربما تكون غير دقيقة مع إخفاء بعض الدول لعدد الإصابات والوفيات فيها.
صراحةً، منذ انتشار المرض في مدينة «يوهان» الصينية ارتكب العالم خطأ فادحاً بعدم اكتراثه بالفيروس ، والمفروض أن يتم إغلاق الحدود وإيقاف الطيران وفرض حالة التجول في وقتها، وليس الآن بعد أن تفشى المرض وتمكن، لقد بتنا نخسر الأطباء بسبب إصابتهم بالمرض، وكذلك باتت دول عظمى تتوارى وتسقط في شباك الاستسلام، وما زال مسلسل الموت البشع مستمراً، والمآسي يتناقلها الناس من خلال منصات مواقع التواصل الاجتماعي، فوضى ورعب .. موت ودمار .. كل شيء ينهار .. وأصبح الكذب والصدق والإشاعة والتفاهات والاستهتار مجرد مترادفات يومية نسمعها ونشاهدها على مدار الساعة .. المال .. التجارة .. الأسلحة .. تصفية الحسابات .. الثقافة .. الجهل .. العلم .. الأسلحة .. الموت .. كلها مترادفات لا قيمة لها الآن.
أين المفر؟
ربما كان للعزل المنزلي، وإغلاق المتاجر، فائدة بمواجهة الفيروس، لكن بعد فوات الأوان، إلا أنه يخفف ولو بنسبة 30 بالمئة

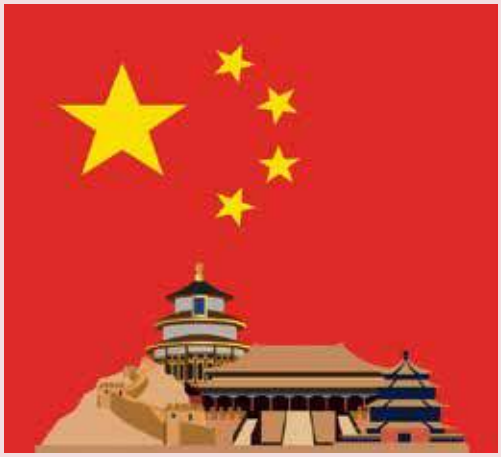

من الإصابات، وهذا هو العلاج المتوفر الآن، ولا يوجد سواه.
لكن سيكون هذا الحل مدمراً ، وستزداد الجرائم ، والسرقات، والقتل، لان الأمن سينهار، وقد انهار فعلاً.
الحقيقة ولا شي سوى الحقيقة :
سيفقد العالم عشرات الألوف من أبنائه — الانهيار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.
انتشار المجاعات وانهيار المؤسسات الكبيرة مثل مؤسسات حقوق الإنسان والجمعيات الخيرية وكذلك انهيار العلم والطب بنقص الكمامات والأدوية والأجهزة الضرورية للمريض.
نهاية الحروب والظلم وصناعة آلات الموت كالأسلحة والطائرات الحربية والصواريخ يتوقف على سقوط الفيروس، فإذا سقط ستزيد الحروب في محاولة تعويض الخسائر التي تكبدتها الدول العظمى والتي أصبحت صغرى الآن.
ختامًا نتمنى موت الفيروس والانتصار عليه، لكن نبقى قلقين على حياة ما بعد موت الفيروس، والله وحده أعلم إلى أين سنصل .

في سنة 2020 وربما ما بعدها ..

كورونا يحكم العالم

سماح بني داود. تونس

لم نكن بحاجة إلى حاكمٍ جديدٍ يسّير عالمنا الذي قُسّم الى قارات منذ سنين طويلة، هذا العالم الذي وضع حدوده الاستعمار فانقسم إلى دول و مناطق لها نفس اللغة والدين و العادات، لم نكن بحاجة الى حاكم يجيد الديكتاتورية بكل قوتها رغم صغر حجمه، هذا الحاكم الميكروسكوبي الذي يوّلد أسلحة كبيرة من جسده الصغير لضرب البشر في كل شبر من هذه الأرض، له عيون كثيرة تراقب المحبين والمجتمعين والمتعانقين أينما كانوا ومهما حجبوا أنفسهم يراهم.

لم نكن بحاجة الى حاكم عاري الرأس والجسم لا يرتدي غير برنس كتب عليه «موت»، يتسلل بيننا كسارق ينهب فرحنا وسعادتنا، يأخذ تفكيرنا و يربك نفسيتنا، سارق لا يمل أكل الجثث .

انه الحاكم الذي يحكم بالعدل، لا يفرق بين كبير ولا صغير، لا غني ولا فقير، لا أمريكي ولا صيني ولا إفريقي ولا آسيوي، لا يهودي ولا مسيحي ولا حتى مسلم .

حاكمنا اليوم لا قوة توقفه، يجتاح المدن والقرى ولا أحد يمتلك سلطة عليه، لا بالسلاح سنوقفه ولا بالخراطيش المخبأة ولا ببنادق الصيد المعلقة على جدران الصيادين ممن يقتلون حيوانات بريئة من أجل سد جوع بطونهم التي لا تشبع. لا سلاح يوقف حاكمنا اليوم، هذا الذي يتجول في شوارعنا مرفوع الرأس بجسمه الكروي الذي أوقع العلماء في فخ الإعجاب بجماله، وأخذ مساحات كبيرة على لوحات الرسامين بألوان الاكريليك والزيت فطبع على القماش و الخشب والبلور والجدران، هذا الحاكم الذي نتكلم بشأنه يومياً في منابرنا وعلى شاشات التلفاز وبالصحف و المجلات، كل هذا لأننا نخافه .

نحن إذن في تبعيةٍ لحاكمٍ نكرهه، نهاب الموت من خلاله، إنه الذي احتلنا واستعمر تفكيرنا و هواجسنا و قلب طاولة اللعب الى صالحه. أي حاكم هذا؟

إنه حبيب الطبيعة، «كورونا»، إنه المراعي لمصالحها، أوقف شر البشر وانتصر لها، منع الطائرات والمعامل وغيرها من تلوث الهواء، كف عن الأرض شر بطش أرجلنا عليها و دعساتنا التي لا تتوقف أبدا، إنه الحاكم المنحاز للشجر والطير والهواء ولا مجال لحمياتهم الا بعزل الانسان هذا الذي عرف بشره منذ ولادته « الانسان شرير بطبعه «ولكن ما حاجة الانسان لطبيعة نقية إن كان سيغادرها؟

حاكمنا اليوم يمتد ببطشه دون دراية أنه لن يكون حاكماً حين ينقرض البشر.

الرسول الجديد

سحر القوافي. الجزائر

الرسول الجديد..المتوج الفريد..العاشق القاتل..يسافر بلا تذكرة ولا أجنحة ولا جواز سفر..الملك القادم من البلاد البعيدة الذي لم يتوقع مفاجأة قدومه أحد..المسافات ممتدة والقلاع والحصون متينة والحرس والجيوش والمخابر والعقاقير والتكنولوجيا..لا شيء يمنع قدومه..فهو صاحب المعجزة التي تعجز البشرية جمعاء أمامها ولا تملك حيالها إلا أن تحملق في ذهول ودهشة وهو يدك حصونها ويهزأ بأسلحتها وجبروتها ..المارد المجهري الخفي قد استقر في الخواطر ونبضات الأفئدة وتوهج مع الأنفاس الدافئة وأزهر وأثمر حتى استحوذ على كل مساحات الذاكرة وحياة الأرواح..الطوفان اللامرئي الصامت .. الرسول الجديد الذي قلب الموازين والمفاهيم والقيم، ولم تستطع البشرية ردعه وهو ينذرها كما كانت تفعل دائماً عندما تبشر بميلاد رسول ..ويسقط كل الأقنعة التي تفننت في ابتداعها وتنميقها وترصيعها ولا يبقي لها إلا قناع واحد دون تجميل، ولدته أنامل الخوف والقلق من نهاية محتملة، ولكن لا عاصم اليوم من تسونامي المتوج إلا الأقدار..

كوفيد19.. الأسطورةالجديدة.. الرسول الذي يعيد توزيع وإحياء القيم الإنسانية الميتة أو المنسية..السياسي البكر الذي يعيد رسم خارطة العالم وتشكيل المفاهيم المعاصرة.. المعسكر الذي عجزت الترسانة الحربية والنووية والكميائية العالمية المختلفة عن ردعه وهزمه..إنه الحرب العالمية الثالثة، أو القيامة الصغرى..الرسول الجديد ينصب نفسه محور الكون وعقله وقلبه وروحه..فهو الأديب والمفكر والإعلامي الذي يكتب بجميع الأقلام والأبجديات واللغات ..والرسام الذي يرسم بفرشاة الوجع والقهر..إنه السر الذي يعشش في كل عقل بشري بدأ يعي الحياة..إنه الرسول النذير الذي استحوذ على كل شيء وأمسك بروح الإنسان يقلبها كيفما يشاء..يزرع الرعب والفوبيا في أولئك الذين اعتقدوا أنهم في منأى عما يصيب الضعفاء من البشر..فلم تنفعهم لا القصور والحصون ولا العقاقير ولا الحرس

ولا الحكمة والتكنولوجيا..لا المال ولا الجاه والسلطان..لقد كنا دوماً مجرد أرقام لديهم.. أو فئران تجارب وتسلية أو الوباء الذي يجب التخلص منه..يتنافسون في إبداع واختراع أشد الأسلحة فتكاً بنا..يسرقون منا البهجة والسكينة والكرامة والحياة..ليرضوا جشعهم وطغيانهم وغرورهم..استكبروا وعتوا في الأرض وما اعتبروا..وهاهو الرسول الجديد ينذرهم دون تمهيد أو استشارة أو نبوءة.. ليبعثر جميع الأوراق ويرتبها ترتيباً يخالف أبجدياتهم وأرقامهم وألسنتهم..ويبشر بعالم جديد ربما يكون أكثر عدلاً وإنسانية..فربما أحيا إيمان النفوس وأعاد الرشد للعقول والإحساس للقلوب..

لقد فضح عجز البشرية جمعاء على التصدي له، فلم ينفعهم في ردعه أي سلاح وهو يعلن سوس المقابر والمجازر إلا التوجه بالدعاء والابتهال لله القادر بأن يرفع البلاء ويزيح الضر والوباء..إنه الدرس الذي يستوعبه الجميع حتى الحمقى ممن ظنوا أنهم امتلكوا أقدارنا من الساسة وأصحاب الجاه والنفوذ وما شئت من الفراعنة الجدد أينما كانوا على وجه البسيطة..

إنه العالم الجديد يتشكل بقوة أضعف المخلوقات في الكون..المتوج وحيد الخلية أعجز العقل البشري وذكاءه عن مواجهته.. فعاد الجميع ليبحث في القرآن الكريم وسنة نبينا محمد _صلى الله عليه وسلم_ فكان حديثه هو البلسم الوحيد :»إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تقدموا عليها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه» لقد قلب الرسول الجديد مفهوم الوحش الأسطوري الضخم القوي صاحب القدرات الخارقة..الوحش الجديد وحيد خلية لا يرى بالعين المجردة..كأنما هو قوة ميتافيزيقية كامنة في خلية واحدة تستنسخ نفسها بلا توقف..إنه القدرة الثانية التي تحكم مصير العالم بعد قدرة الله تعالى ومشيئته..المعجزة الجديدة ..الرسول المنذر الذي أرغم الناس على رفع أيديها للسماء خشوعاً وتوسلاً وتضرعاً إلى الله أن يرفع عنها هذا البلاء.. الجائحة التي تبث وعياً إنسانياً جديداً وتفضح الحضارة المادية القائمة التي تجاهلت الإيمان والقيم الروحية والمثل الإنسانية ووهجها ورونقها وأذاب الفروق والتعصب بين البشر..فلا لون ولا عرق ولا عرف ولا جنس ولا عقائد..هناك فقط الإنسان..إنه يعيد تعافيه وإنسانيته المفقودة أو العليلة..فما أغنى عنه ماله ولا جاهه ولا حصنه ولا حرسه ولا حكمته..

فعلا، لا نبي بشري بعد الرسول محمد _ صلى الله عليه وسلم _ ولكن هاهو الرسول الجديد كورونا ينذر ويتوعد ويعاقب في صمت أثار ضجيج البشرية جمعاء وجعلها تستشعر الخطر وتفتش عن مفر..فلا مناص اليوم من لعنة فوبيا المتوج و رعبه الذي فرض الحجر على الإنسان وسجنه في بيته..وأعلن حظر التجوال ..ليتيقن الجميع أن الرسول الجديد صادق وجاد ومتفان في تأدية مهامه وتبليغ رسالته..فهو يعاقب كل من تجبر وتكبر واستعلى في الأرض ونسي أصله وضعفه وربه..فأعاد إليه روحه التي افتقدها وحسه الإنساني الذي تناساه أو احتقره أمام أهوائه وأطماعه وفساد عقيدته..فإلى أين الملاذ؟!

إنهم اليوم يرقبون في هلع ووجل وموت بطيء أهوال القيامة الصغرى في اعتقادهم يشهدون نهاية العالم؟! الأزمة التي لم تشهد الإنسانية كارثة بعمقها وحجمها.. مواجهة الرسول النذير الخفي وهو يحطم غرورهم وجبروتهم..ويقلب مقولتهم «العقل السليم في الجسم السليم» لتصبح «الجسم السليم في العقل السليم»..

ربما هو التاريخ يدمر ذاكرته أو يحجرها.. ويهيء ذاكرة الإنسانية الجديدة ..فيرسم

أبعاداً مغايرة ويشكل عالماً جنونياً مبتدعا!!
حمى كورونا تسيطر على الفكر البشري وتأسر روحه في غيابة الأشجان ليراجع قواعده ومسلماته وعلاقاته وسلوكاته..إنه يبتدع ألحاناً وأصواتاً وأبجديات وألواناً ويغتال أوهاماً ويطلق أحلاماً..فربما ضجيج الفوبيا والخيبات سيهز المشاعر الإنسانية ويبعث القيم الروحية من جديد..إنه يرسم نقوشاً مفجعة مروعة صاخبة راسخة لا تمحي..تسجن الزمان بين خطوطها وألوانها وأشكالها..
فالمتوج الجديد لا تغره الرتب والمناصب ولا يعترف بذي جاه أو سلطان ولا يهاب جيشاً أو ترياقاً ..لا يقيده زمان ولا مكان ..لا ليل ولا نهار ..لا تميمة ولا عقار..لا أوروبا ولا امريكا ..ولا أية سلطة..إنها القيامة الصغرى..
الرسول الجديد نسف كل التكتلات والتجمعات والنظريات والاقتصادات والسياسات والبروتوكولات والتطور والتفوق والأبحاث وكل التنبؤات والتوقعات..ولم يبق للبشرية منطقاً، لقد فرض عليها منطقه الأوحد..وخط حكمته الجديدة.. لا منطق للحياة!
وإلا كيف لجائحة مجهرية كل هذه العدالة ..لا تفرق بين السيد والعبد والحاكم والمحكوم والثري والمحروم والمشهور والمغمور ..إنه الرسول العاشق المجنون الذي أطلق لسلطته وساديته العنان ليعيد تنشئة العالم من جديد ..
كوفيد 19 فرض منطقه على الجميع لأنه غريب ومجهول ومستجد، فانبرى العالم بكل طاقاته يتصدى له رغم اليقين المسبق بالفشل غير أنه لم يتخذ أية ذريعة للاستسلام..
وأبقى باب التفاؤل مفتوحاً حتى في أحلك لحظات الأزمة..بينما تجاهل كورونا الأخر المستنسخ في هيئة البشر الذي أعاث فساداً في الأرض يدمر ويخرب ويزهق الأرواح بأعداد هائلة تتجاوز عدد الإصابات بفيروس كورونا ويخلف الكوارث والمآسي الإنسانية في أمم ذنبها الوحيد أنها رفضت أطماع الغرب ونهش ثرواتها وكرامتها فأنشأوا لها كورونا أشد همجية وفتكاً بل وكفلوا له الحماية والرعاية والدعم فأمدوه بمستلزمات زراعة الموت والتنكيل والعبث بأرواح أناس مسالمين كل أمالهم أن يعيشوا في أمان وينعموا بالطمأنينة والكرامة..إنها الأنانية المتجذرة في النفوس المريضة الجشعة للأهواء والرغبات ولو على أعناق الضحايا والأبرياء..هذه الشعوب ثملت من الردى تعل منه حد الإرتواء ولهذا نجدها تستخف وتهزأ من ارتياع الغرب من المتوج لأنه توج عليها ما أمكنه من كورونا أشباه البشر..أو ربما ليس لحياتها أية قيمة مادامت تسرق منها كرامتها تحت مسميات مختلفة وأقنعة شتى وتلفيقات وخزعبلات وأوهام تروج لتحشو بها رؤوس الأغبياء والحمقى الذين ولوا أمورنا بحماية صناع كورونا من قوى الشر والضلالية والظلامية والإرهاب المقنن والممنهج..أليست حمى طاعون الإرهاب وصراع المناصب العشوائي الهمجي أشد ترويعا من كوفيد 19 ..
لنكون ضحايا مرتين لسذاجتنا واستسلامنا وخنوعنا للكورونا البشري..؟!
والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا لا تتصدى البشرية لكورونا الظلامية والجشع والأطماع والأنانية..مثلما تفعل مع المتوج الرسول الجديد الذي ترفض رسالته رغم مافيها من الإيجابية والعدل ؟! لماذا تستمر الأنانية والسادية واستغلال الأمم والعبث بمقوماتها وأرواحها؟! غ ولماذا علينا دائما أن ندفع الفاتورة مرتين وأضعافا..؟! أم أنه منطق الحضارة المادية التي راح ينكشف فشلها وجورها ورغم ذلك تستمر بوقاحة في ذعارتها وشذوذها وفسادها ؟! أي درك أسفل مازالت تتهافت إليه ؟! ومتى يطهر العالم من الفراعنة الجدد؟! ربما رسالة الرسول الجديد هي مجرد إنذار هين أمام الرسالات القادمة لأبطال أسطوريين أشد حزما وعزما في تبليغها؟!

ثقافة الوعي الوقائي من الأوبئة في التشريع الاسلامي

نجاة علي صوشة . الجزائر

إن موضوع الثقافة الوقائية بمختلف فروعها وصيغها من أجل الموضوعات التي شغلت ومازالت تشغل الرأي العام على المستوى العالم #ومقالنا هذا جاء كمحاولة مني تسليط الضوء على بعض جوانب الوعي الوقائي لدى الفرد والمجتمع بجميع فعالياته وقطاعاته في ظل الرهانات الجديدة التي وجدت فيها دول العالم نفسها في مجابهة فيروس كورونا القاتل بشكل مبسط ليس فيه إيجاز مخل أو إسهاب ممل إلا انه يحمل في طياته بعض ملامح الوعي الوقائي

حيث أن الاسلام نجده قد حرص في كل توجيهاته يحث المسلم على أن يحافظ على نفسه ،وعلى غيره بنفس القدر من الحرص والمسؤولية في مراعاة المنفعة العامة واضعا في إعتباره أن المسلم للمسلم كالجسد الواحد إذا إشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسم بالسهر والحمى وهذا ما نلمسه ليوم حقا في وباء كورونا حيث إنتقل من شخص ليشمل عددا مرعب من المصابين عبر كل اقطار العالم

وإذا رجعنا للسنة النبوية نجد أن رسولنا الكريم صل اللّٰه عليه وسلم قد أمر بالمحافظة على صحة أفراد المجتمع فقال»أتقوا الملاعن الثلاث البراز في الموارد ،وقارعة الطريق،والظل، حيث أثبت الطب الحديث أن الأماكن الملوثة وسط ملائم لتكاثر الجراثيم وهذا ماتحصيه مختلف الهيئات الصحية عبر العالم في تقاريرها من أمراض لها تاثير مدمر على صحة الأنسان وفي غالبها تكون معدية تنتقل عبر الافراد والحيونات ولهذا أمر المسلم بأن يحترز من نقل العدوى إلى اخيه المسلم للحد من إنتشار الامراض المعدية والحاق المهالك بصحة الانسان وعلى سبيل المثال لا الحصر قول النبي صل اللّٰه عليه وسلم عن مرض المجذوم «فر من المجذوم فرارك من الاسد» وهذا لان هذا النوع من الامراض معدي يصيب الجلد والاغشية المخاطية للمسالك العليا وبعض الاعصاب حيث نجد الى جانب ذلك لجؤ العديد من الدول التي عرفت هذا المرض الى سياسة الحجر الصحي كوسيلة وقائية منه ومن الامراض المعدية كذلك التي أمر النبي صل اللّٰه عليه وسلم بأخذ الاحتياط منها مرض الطاعون فقد أخرج البخاري في صحيحه أن النبي صل اللّٰه عليه وسلم قال»إذا وقع الطاعون بارض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه وإذا وقع بارض ولستم بها فلا تهبطوا او تدخلواعليها» وهذه التوجيهات الوقائية التي أمرنا بها الرسول صل اللّٰه عليه وسلم منذ الازل قد أثبتت على أرض الواقع ونعايشها اليوم في القرن الواحد والعشرون وأكدتها الابحاث الصحية الوقائية بتكنولوجياتها المتطورة حيث أنها تتضمن أدق مبادئ العزل الصحي او مانصطلح عليه اليوم بسياسة الحجر الصحي فالنبي صل اللّٰه عليه وسلم امرنا بتجنب المجذوم وهذا الاخير يمثل كل مصاب بمرض معدى مهما كانت تصنيفاته الطبية للحد من انتقال العدوى منه والى غيره وأمر بعدم دخول البلد المصاب باي وباء من الاوبئة حتى لا نلقي بأنفسنا الى التهلكة ولا

نخرج من هذا البلد حتى لا نجلب التهلكة على غيرنا وللاسف عندما لم نلتزم ونقتدي بسنتنا السمحاء ولم نطبق قوانينها . اوامرها ونواهيها وابقي على الرحلات الجوية والتنقلات بين الدول التي مسها الوباء واجلاء الجاليات بها افلتت زمام الامور وانتشر وباء الكورونا ونكب العالم ،والطاعون والامراض الخبيثة المعدية ليس بالحدث الجديد وإنما تعاقبة عليه الأمم السابقة وعايشته بفارق اختلاف تصنيفاته الطبية وتسمياته الفيروسية وظروفه ومسبباته ووسائل انتقاله وبتشابه أعرضه حيث اننا نجد فيروس الكورونا الذي يتحدى العالم اليوم ويهدده فإنه يسبب التهاب شديد بالرئة معدي ينتقل من الشخص المصاب الى السليم بواسطة الرذاذ اوالسعال او التنفس وتكون بدايات اعراضه حسب المختصين عادةً ما تكون أعراض الإصابة بفيروس الكورونا شبيهة بنزلة البرد أو الإنفلونزا العادية، يمكن أن تظهر هذه الأعراض بعد يومين أو أربعة أيام من الإصابة بالفيروس كما تكون هذه الأعراض في غالب الأحيان خفيفة، تشمل:

العطس.

السعال .التهاب رئوي حاد

سيلان الأنف بشدة.

الشعور بالتعب .الحمى

الإصابة بالحمى في حالات نادرة.

تفاقم أعراض الربو في حال كان المريض مصاب به.

السعال جفاف الحلق حمى عالية وشعور بالم شديد وتقيأ وصعوبة في التنفس ويكون المصابين بهذا الفيروس من الخطر القرب منهم مالم يكن الشخص السليم ملتزما بالقواعد والتوجيهات الصحيحة التي تتطلبها هذه الانواع من الامراض الفتاكة

وفي النهاية لا يسعنا الا الركون الى الحقيقة الالهية الكامنة في التسليم المطلق بان اللّه هو يمرض ويشفي

فإن شاء سلبها قواها فلا تؤثر بشيئا وان شاء أبقاها فأثرت فهو فعال لما يريد

وماعسانى سوى القول لا اله الا انت سبحانك لا حول ولا قوة لنا الا بك ياللّه فأجرنا من وباء الكورونا واحفظنا وحمنا فنحن عبادك المغلوب على أمرنا نفر من قدرك إلى قدرك يا اللّه.

لهذا وفي ختام موجز مقالنا لا يسعني سوى الحث على الحرص للوقاية انفسنا وان نمتلك ثقافة الوعي الوقائي كل بحسب مسؤولياته واوساطه مع ضرورة نشر الوعي الوقائي السليم والتمسك بتعاليم ديننا الحنيف والعناية بالصحة مما يؤدي بها الى المهالك

الجائحة.. خيال مؤلف أم نبوءة ؟

محمود حسانين. مصر

في كتاب «لماذا تتحارب الأمم» : المتحكمون في الأسلحة ودعاة حماية البيئة ينشرون نسخة مغايرة من هذا المنطق فهم يتنبأون بحدوث أسوأ نتائج ممكنة إذا لم تتم السيطرة على أنظمة التسليح الجديدة وإذا استمر البشر في تدمير البيئة.

يُقال إن المؤرخين أسبق من الأدباء إلى تناول تفاصيل الفترات التاريخية التي استشرى فيها الوباء أو المجاعات. ولكن التساؤل الذي يطرح نفسه: إلى أي حدٍ اختلطت تلك الكتابات بالخرافة؟ وإلى أي حد شاب السرد التاريخي نوعٌ من المبالغة يصل إلى حد الأسطورة؟

يقول الدكتور «قاسم عبده قاسم» أستاذ التاريخ الإسلامي: لم يختلط التدوين التاريخي لدى كبار المؤرخين مثل «المقريزي» و«ابن حجر» و«السيوطي» وغيرهم بالخرافة، لكن السمة الغالبة على تسجيل الفترات التاريخية التي استشرت فيها الأوبئة والمجاعات اعتمدت على البعد الديني. لتفسير الأوبئة والمجاعات في تلك الكتابات التاريخية.

عندما تتقطر الفرشاة ألماً:

في عام 1374 حين رست سفينة عائدة من البحر الأسود في ميناء «مسينا» في جزيرة صقلية، حاملة معها الوباء المخيف والمميت، حيث لم تكن تستغرق وفاة الشخص المصاب به أكثر من أربعة وعشرين ساعة من ظهور دمّلٍ صغيرٍ في أحد مواضع جسده، ويمكن للمرء نتيجةً لهذه المعلومة تخيل سرعة انتشار المرض، وقدرته الفتاكة، والتي أودت خلال عشرين عاماً بأكثر من نصف سكان أوروبا آنذاك.

نتج عن ذلك الوباء خرابٌ كاملٌ للأرياف الأوروبية، التي كانت قبل مجيئه في حالة من الازدهار والنمو، كما نتج عنه حالة من الفزع والصدمة، وتحولت الأراضي الزراعية إلى أراضٍ جرداء، وراحت الكلاب تنهش جثث الموتى، ومن تبقوا على قيد الحياة لم يكن بالسهولة بمكانٍ أن يحصلوا على قدرٍ كافٍ من الغذاء، كما أن حال المدن لم يكن بأفضل من الأرياف، فقد أصابها الوباء بالتعفن، ومن بقي على قيد الحياة من الأحياء لم يكن كافياً لدفن الموتى في المقابر الجماعية، التي حفرت خارج أسوار المدن لهذا الغرض تحديداً.

لقد ترك «الموت» الأسود أثره على لوحات فناني ذلك العصر الذين رسموا هياكل بشرية، تمضي متعثرة الخطوات، وعلى وجهها ملامح العذاب والمعاناة وهي تجر الموتى إلى قبورهم. أما الشاعر الايطالي «بترارك»، وهو أحد الناجين فقد وصف ذلك الحدث بالقول: إن الأجيال المقبلة من ذريتنا لن تصدق أن ما حدث لنا قد حدث فعلاً.

في الوقت الحالي قام الفنان التشكيلي السوري «وليد علي» المقيم في الوقت الحالي بمدينة «نانجينغ»، بإبداع لوحات تشكيلية

للتعبير عن تضامنه مع ضحايا فيروس «كورونا» في مدينة «ووهان» وكامل أرجاء الصين. وتضمنت اللوحات كلمات تعبر عن الأمل والتشجيع للطواقم الطبية، والتدابير الحكومية والجهود الشعبية في مكافحة الفيروس، كُتبت باللغتين العربية والصينية. وقال الرسام «وليد علي» إنه يريد أن يتبرع بثمن هذه اللوحات لفائدة مدينة ووهان.

توحد الحدث واختلاف التناول:

ربط الأدب منذ عقود بين الخرافة والخيال، بين الوباء وفكرة الفناء، وبين التطور وفكرة الخلود.

يقول الكاتب «ميلان كونديرا»: الروائي مكتشف يجهد متلمساً في الكشف عن مجهولٍ من الوجود»

من جانب الأدب، لقد تم تصوير الوباء في متونٍ متعددة، وهناك الكثير من الروايات صنعت محاكاة أو تنبأت بتلك الأوبئة التي فتكت بالمجتمعات، ومن أهم الكتاب العرب الذين أوغلوا في وصف المعاناة الانسانية، الكاتب «نجيب محفوظ» ففي وصف حال حارات مصر، خرج بها من سياقها الضيق إلى الكونية، مستشرفاً الواقع، الزمان والمكان، فجعلهما كإنسان يحتمي من نيران الدنيا، برفات المغريات والأمل في مستقبل مجهول، يتحول ويعود إلى سابقه، يجاذب القارئ للحنين لكليهما، ويجذبه مسحورا إلى عالمهما، يتركه للتمني في الحياة، يحترم تاريخهما، يجعل من القارئ منصفاً وشاهداً على أفعالهما، ثم يجعله توءماً لروحهما، ليحلق معهما في الأمنيات، السيرة الذاتية للبطل «عاشور» تخص أغلب الشرائح في الحارة المصرية في مطلع القرن العشرين، يتقلب البطل في طرق الحياة، جعل منه مدرس جغرافيا يشرح على خريطة موضوعة فوق السبورة، معالم الكرة الأرضية، يلخصها في الزمان-المكان مهما اختلف واقعهم، غير أنه قد كان مبشراً في الكثير من وصف الأحداث، فصُوّرَ الوباء بزاوية الفراغ الإنساني من الانسلاخ من الحياة، حين ألم بها الوباء، و«نجيب محفوظ» تكلم في رواياته عن تفشي مرض الطاعون بأبعاد مختلفة في كما في روايته «الحرافيش» التي تتجلى فيها المحاكاة بين السرد والواقع.

في رواية «ما تخبئه لنا النجوم» لجون غرين» يذكر لنا الكاتب معاناة شاب يلتقي بفتاة في مركز لمرضى السرطان، وكيف يحاولان مواجهة هذا المرض اللعين، الذي سيطر على حركة المصل الدوائي له حتى الآن، وكيف أنهما حاولا الانتصار عليه بالحب أيضاً، كما في رواية "الحب في زمن الكوليرا" لمؤلفها «غابرييل غارسيا ماركيز»، التي تدور أحداثها حول قصة حب تعاني من الطبقية التي كانت تسيطر على أغنياء القوم حينها، رواية «ألبير كامو» الطاعون، تناولت قصة طبيب تمرض زوجته، وتسافر للعلاج فتموت، وتغلق الحدود بين البلاد، فيجد نفسه محبوساً، ويحاول أن يجد العلاج ولكن محاولاته تفشل، وبعد أن يذهب المرض عن البلدة، ولكن الطبيب يُدرك أنّ الطاعون ربما يعود مرة أخرى وبشكلٍ أقوى.

وتأتي رواية «الغانية الفاضلة» للكاتب «سومرست موم»، التي تناولت أيضا وباء الطاعون في الصين، وتبين قصة معاناة البطلة وباقي أبطال العمل إزاء مواقفهم مع الحياة ومعاملتهم الشخصية والعنصرية في التعامل مع الأخر.

توثيق لحظات احتضار الحياة بالنسبة للإنسان، أقسى من الألم، المصحوب بتلك الغصة، التي قد تجعل حياتك دائرة ثقب إبرة، لعلنا ندرك أن الوباء قد يكون متواجداً بين البشر بصورة عدو/صديق، حتى يتحين الفرصة ليقتنصه.

وصف المرض وتشخيصه في الشعر العربي

صلاح الشهاوي. مصر

لعله من نافلة القول اعتبار الشعر درة التاج في مسيرة الثقافة العربية، ذلك الفن اللغوي والجمالي الذي ساد على مدي عشرات القرون حتى غدا ملمحاً من أهم ملامح العروبة ولغتها. فلم يحظ فن من فنون الأدب العربي بكثرة الدراسات وتنوعها، سواءً القديمة منها أو الحديثة، مثلما حظي الشعر العربي، إذ يعد المرجع الموثوق به لأساليب العرب البلاغية والبيانية والمصدر الأصيل لمفرداتهم اللغوية وطرقهم التعبيرية، فضلا عما يحويه الشعر العربي من مآثر العرب ومفاخرها وأحداث أيامها ووقائعها، فهو الوثيقة الرسمية الأولى التي دونت تاريخ العرب الوجداني والاجتماعي منذ بزوغ الجنس العربي ونبوغ عقليته.

ولقد أدرك العرب ما للشعر من رسالة فنية وعلمية وأخلاقية، فحوى ديوان شعرهم كافة مناحي الحياة، فهو عيونهم وآذانهم وجميع حواسهم التي يطلون من خلالها على عالمهم الخارجي، والشعر مادة طيبة لنشر العلم، فهو مادة جيدة وأداة طيعة لتوصيل الأفكار النافعة وحمل أعباء رسالة العلم السامية، وهو أوسع أجناس الأدب احتمالاً لتفاوت التفسير. ولقد ترك لنا كبار الشعراء في ديوان الشعر العربي أشعاراً علميه وأحاجي وألغاز ومسائل رياضية أتعبت أذهان علماء الرياضيات على عهدهم، أمثال أبى نواس وابن يونس وحمزة والأصفهاني ومحمد بن يحيى وأبى الحسن بن طبا طبا وأحمد بن عمر بن رسته وقبلهم النابغة الذبياني وغيرهم الكثير، فقد أورد كل واحد مقاطع شعرية أودعها مسائل حسابية، ولولا الإطالة لاستعرضنا بعض هذه المسائل.

وإذا علمنا أن الشعر العربي هو شاهد عدل على أن الطب العربي كان قد شب عن الطوق باكراً، ينبغي علينا الاحتفاء بهذا الميدان، لما يزخر به من أبعادٍ إنسانية، وعواطف متدفقة، وأحاسيس نبيلة، وتجارب متباينة في مرارتها وحلاوتها.

فالطب: فرع من فروع العلم، وهو بإجماع اللغويين والمتأدبين: علاج الجسم والنفس. والطبيب أو الطب (بتشديد الطاء وفتحها): هو العالم بالطب (بتشديد الطاء وكسرها)، والمتطبب: الذي يتعاطى علم الطب. وليس بطبيب حقيقي. جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فرأى بين كتفيه خاتم النبوة، فقال: إن أذنت لي عالجتها فإني طبيب، فقال له النبي عليه السلام: طبيبها الذي خلقها.

وقديما كانت كلمة الطب تدل على العالم بالطب المعالج أمراض الناس الجسمية والنفسية يقول الشاعر القديم:

إني أسائل كل ذي طب .. ماذا دواء صبابة الصب؟
ودواء عاذلة تباكرني .. جعلت عتابي أوجب النحب.

ويطلق العرب على (النطاسي)، الطبيب.
قال أوس بن حجر:

فهل لكم فيما إلى فإنني
طبيب بها أعيا النطاسي حذيما.

ويطلق العرب على الطبيب المداوي (الآسي) وعلى الدواء (الأساء)، يقول الحطيئة:

هم الأسون أم الرأس .. لما تواكلها
الأطبة والأساء.

قد تلفتت قلوب العرب إلى الطب وخصائصه، وحلقت أخيلتهم في آفاقه، وطوفت أفكارهم في ميدانه، واستعاروا من قاموسه ألفاظاً في حللها الطبية، ودبجوا بها أشعارهم، وغالباً ما كانوا ينقلون المنى من عالم الحقيقة إلى دنيا المجاز، فهذا «جرير» يخلع الصحة على بعض الأفكار والسقم على بعضها الآخر في قوله:

رأى الناس البصيرة فاستقاموا ..
وبينت المراض من الصحاح.
والمتنبي يجعل من سيف الدولة طبيباً لعلل
الدنيا وادوائها في قوله:
كيف تعلك الدنيا بشيء ..
وأنت لعلة الدنيا طبيب
وكيف تنوبك الشكوى بداء ..
وأنت المستغاث لما ينوب.

والحقيقة أن ميدان الطب قد أفاد منه الشعراء حين يمموا ساحته أيما فائدة، فعلوا من ألفاظه، ونهلوا من أساليبه، وحاكوا في تصويرهم الأدبي صوراً طبية، وصبوا هذا كله في قوالب أشكال فنية رائعة، تنبئ عن ثقافتهم، وروعة تجربتهم، وحرصهم على اصطياد الأفكار والصور من شتى المصادر.
ومن بين ما حوي ديوان الشعر بين أبوابه وأغراضه التي نظم الشعراء فيها قصائدهم باباً لعلم الطب خاصة الناحية التشخيصية، لذا نرى شعراء كبار تلمع أسماؤهم في ديوان الشعر العربي طرقوا هذا الباب وتركوا لنا أشعاراً تحتاج بالفعل إلى إحكام العقل وكد الذهن (بعيدا عن مجالات الجمال ورؤى الإلهام والخيال التي يحتفل بها الشعراء العرب)، حتى نقدم وصفاً لبعض الأمراض والعلل كما وردت في الشعر العربي.

في الصحة العامة:

يقول عنترة:

المال للمرء في معيشته ..
خيرٌ من الوالدين والولد
وإن تدم نعمةٌ عليه تجد ..
خيراً من المال صحة الجسد
وما بمن نال فضل عافيةٍ ..
وقوت يومٍ فقرٌ إلى أحد.

وقال بشار بن برد:

إني وإن كان جمع المال يعجبني ..
فليس يعدل عندي صحة الجسد
في المال زينٌ وفي الأولاد مكرمةٌ ..
والسقم ينسيك ذكر المال والولد.

وما أروع قول ابن حزم عندما اعتراه المرض:

أأكتمه ويكشفه شهيق ..
يلازمني وإطراق طويل؟!
ووجه شاهدات الحزن فيه ..
وجسم كالخيال ضن نحيل
واثبت ما يكون المرء ..
يوماً بلا شك إذا صح الدليل.

في الحُمى:

الحمى نفسها ليست مرضاً، ولكنها تظاهره مرضية بارزة تدل على حدوث خللٍ ما في الجسم البشري وتعد إشارة حساسة وملموسة على حدوث الإصابة المرضية، والحمى أو ارتفاع حرارة الجسم لا تتأثر بالظروف والمنبهات الخاصة مثلما يتأثر النبض والتوتر الشرياني، لذا فإن قياسها وحساب معدلاتها يساعدان على تقدير خطورة المرض ومعرفة تطوره ومن ثم التنبؤ بمدته وطرق معالجته .
وترافق الحمى أعراض مزعجة كالصداع والآلام المفاصل والنوافض تمنع المريض

لذيذ العيش .

ويقول الشاعر يصف الحمى :

وزائرة تزور بلا رقيب ..
وتنزل بالفتى من غير حُبِّهِ
وما أحد يحب القرب منها ..
ولا تحلو زيارتها لقلبه

ومع هجمة الحمى يتبدل لون العليل فيميل إلى الشحوب والاصفرار، وإذا ما انتهت نوبة الحمى أعقبها صداع مزعج في الرأس، يقول «أبو هلال العسكري» :

واخبر أني رحت في حلة الضنى
.. ليالي عشر إضامها الله من عشر
تنفضني الحمى ضحى وعشية ..
كما انتفضت في الدجن قادمتا نسر
إذا انصرفت جاء الصداع مشمرا
.. فآبى عليها في الأذية والشر

و«العماد الكاتب» يصف الحرارة التي كانت تنتابه نهارا فيقول:

وزائرة وليس بها حياء ..
فليس تزور إلا في النهار
أتت والقلب في وهج اشتياق
.. ليظهر ما أواري من أواري

أما «المتنبي» فقد كان صنف من الحمى ينتابه وقت النوم فيمنعه الرقاد ولذيذ النوم، فهي تصيبه ليلاً وعندما يطلع النهار وتريد مفارقته تبكى مدامعها سجاماً دلالة على ما تجده من التعرق الشديد عندما تفارقه فيقول:

وزائرتي كأن بها حياء ..
فليس تزور إلا في الظلام
كأن الصبح يطردها فتجري ..
مدامعها بأربعة سجام

ولما زارت الحمى السفير والأديب «أحمد بن علي المبارك» أنشأ يقول:

زارت مفتتة العظام وأسرعت ..
في الدب بين جوانح الأعضاء
لما رمت مني الضلوع بحرها ..
تركت لرأسي أوفر الأدواء

في الطاعون :

الطاعون مرض بكتيري معدي حاد، وهو من الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان ويصنف كأحد الأمراض المحجرية الخطيرة التي تسبب أوبئة في حالة عدم السيطرة عليها . وقد نزل الطاعون بلبنان عام 1907م فقال فيه الشاعر أسعد رستم:

إن كان لا يجدي بك القانون ..
فالحامض الفينيك والصابون
يا أيها الطاعون إن بلادنا ..
منظومة ومناخها موزون
حتى جنابك جئت كي تقضي الشتا ..
فيها، فأنت إذا لها مديون
أمن العدالة أن تقيم بأرضها ..
ضيفاً وتقتل أهلها يا دون؟

في النقرس:

مرض مؤلم يحدث في مفاصل القدم وأصابعها كما يحدث في أصابع اليد، يقول الشاعر شاكياً إلى الله من ألم أصابعه من هذا الداء:

اشكوا إلى الله ما أصبت به ..
من آلم أنامل القدم
كأنني لم أطأ بها كبدا ..
من حاسد سر قلبه ألمي.

ومن المعروف أن النقرس يصيب ذوى النعمة والترف لذلك يسمى داء الملوك، ولكن الشاعر العربي رقيق الحال يتعجب من أصابته فيقول:-

أقام بأرض الشام فاختل جانبي ..
ومطلبه بالشام غير قريب
ولا سيما من مفلس حلفُ نقرس
.. أما نقرس في مفلس بعجيب؟.

في آلام الركبة :

غالباً ما تكون آلام الركبة نتيجة تآكل الغضروف بين المفاصل، مما يسبب التهاباً مزمناً نتيجة احتكاك عظمتي المفصل وهو

هو ما يصفه «جرير» في قوله :

تحن العظام الراجفات من البلى .. وليس لداء الركبتين طبيب

وقال أعرابي يصف هذه الحالة :

أشكو إليك وجعاً بركبتي .. وهدجاناً لم يكن في مشيتي
كهدجان الرأي خلف الهيقة.

(الرأل: ولد النعام. والهيقة: أنثى النعام).

وفي هذا الباب طرفة شعرية :

وعاد «أبو الحسين بن برهان» رجلاً مريضاً فقال له: ما علتك ؟، قال: وجع الركبتين. فقال: والله لقد قال «جرير» بيتاً ذهب منى صدره وهو:

وليس لداء الركبتين طبيب.

فقال المريض: لا بشرك الله بالخير، ليتك ذكرت صدره ونسيت عجزه.

في الجدري:

مرض جلدي معروف يتميز بظهور بثور حمراء بيض الرؤوس تنتشر في البدن وتتقيح سريعاً فيبدو وجه المجدور قد امتلاء بنقط حمراء بارزة، و الفيروس المسبب للجدري لا يعيش إلا في جسم الإنسان والجدير بالذكر أن هذا المرض اختفى من سطح الأرض بعد أن أشاع الخراب والأسى آلاف السنين عام 1977م – شوهدت آخر حالة منه في الصومال عام 1977م- والجدري هو المرض الوحيد الذي استطاع الإنسان أن يقضي عليه نهائياً، يقول شاعرنا العربي واصفا الجدري:

وجهه للحسن معدن .. فتأمل وتبين
نقط من جدري .. كدباقي معين.

في الجرَب :

وصف «الصاحب بن عباد» الجرَب بأنه نجوم تطلع في الجلد في بيتٍ يداعب به صديقه أبي العلاء الأسدي فقال :

أبا العلاءِ مليك الهزل والجِد .. كيف النجوم التي تطلعن في الجلد؟!

في آلام الأسنان:

تتوافق الأم الأسنان مع أعراض قوميه مؤلمة منها ما يتصل بالأعصاب فتسبب صداعاً ومنها ما يكون سببه بعض أنواع البكتريا والتي تسبب النخر والتسوس ورائحة الفم الكريهة مما يجعل المصاب لا يذوق طعم النوم لذا وصفها شاعرنا العربي قائلا :

يا من يبات الليل في تأله .. سهران من نار تشب في فمه
ما ذاك إلا ورم في اللثة .. ربما غير طعم الفكهة
تورم في أسفل الأسنان .. كان فيه لهيب النيران
وربما صير سقف الحلق .. كأنه احرق أي حرق.

والخوارزمي يصف وجع الضرس فيقول:

وما أصبحت إلا مثل ضرس .. تآكل فهو موجود فقيد
ففي تركي له داء دوي .. وفي قلعي له ألم شديد.

أما صفي الدين الحلى فيقول في خلع ضرسه:

لحى الله الطبيب فقد تعدى .. وجاء لقاع ضرسك بالمحال
أعاق الظبي عن كلتا يديه .. وسلط كلبتين على غزال.

وألغز أحدهم في ضرسه المخلوع:

وصاحب لا أَمل الدهْر صحبته يَشقى .. لنَفعي ويسعى سعي مجتهِدِ
ما إن رأَيت لَه شخصا فَمذ وقَعت .. عيني علَيه افترقنا فرقة الأَبدِ.

في أمرض شرايين القلب النفسية:

أكدت الدراسات الحديثة أن العوامل النفسية تُسهم بشكل ملحوظ في تكوين أمراض عضوية كمرض تصلب شرايين القلب، فكلما

زادت الحالات النفسية وتعددت في شخص واحد زادت خطورة أمراض شرايين القلب عليه.

كما حددت الدراسات خمس حالات من الأعراض أو الأمراض النفسية التي تشكل خطورة على القلب وهي: الكآبة، والقلق، الاضطرابات الشخصية والسلوكية، العزلة الاجتماعية، الضغط النفسي المزمن.

وجل ما ذكرته هذه الدراسات، لا يخرج في أغلبها عما وصفه قيس بن الملوح - مجنون ليلي - فقد ذكر في قصائد عدة أدق وصف عُرف لمرض شرايين القلب في تاريخ الطب العربي والعالمي حتى القرن الثامن عشر، كما يمكن أن ندعي أنه لم يسبق المجنون شاعر ولا طبيب في وصف آلام الذبحة الصدرية والآم الجلطة القلبية، ويبقي إدعائنا أن المجنون قد توفي حتما بالسكتة القلبية نتيجة تصلب الشرايين فقد أدي انسداد شريان القلب التاجي إلى جلطة قلبية سببت الوفاة.

والآن مع بعض أشعار المجنون التي ندعي أنها تصف هذا المرض، ففي البداية يقول المجنون وقد علم منذ البداية انه مقتول بحبها:

خليلي أمّا حُب ليلى فقاتلي فمن لي بليلي قبل موتِ علانيا.

ويقول محدثاً قلبه الذي أودي به الحب ولم يجد طبيباً له:

ألا أيها القلب الذي لجّ هائماً ..
بليلى وليداً لم تقطع تمائمه
أفق قد أفاق العاشقون وقد أبى ..
لما بك أن تلقى طبيباً تلائمه.

ثم يقول أنه مقروح يئن شوقاً ويغصُّ من شوقه بشرابه أن يَسْلمَ من خطَراتِ الجنون:

ولي كبدُ مقروحة من يبيعُني ..
بها كبداً ليست بذاتِ قروحِ
أئنُّ من الشوق الذي في جوانحي ..
أنين غصيص بالشراب جريحِ.

كما يقول:

إذا ما استطال الدهر يا أم مالك ..
فشأن المنايا القاضياتِ وشانيا

(أم مالك: كنية ليلي، وشانيا: وشأني، سُهلت الهمزة لضرورة القافية)

فأنت التي إن شئت أشقيت عيشتي ..
وأنت التي إن شئت أشقيتِ باليا
وأنت التي ما من صديقٍ ولا عدا ..
يري نِضْوَ ما أبقيت إلا رثي ليا.

(النضو: الإنسان المهزول والثوب البالي الممزق. يقصد بالنضو نفسه المحطمة الممزقة)

ذكَتْ نار شوقي في فؤادي فأصبحت ..
لها وهج مستضرمٌ في فؤاديا
مُعذبتي لولاك ما كنت هائما ..
أبيتُ سخين العين حرّان باكيا

(سخين العين: عينه تبكي بشدة وحرقة. حران: لهفان)

معذبتي قد طال وجدي وشفني ..
هواكِ فيا للناس قلَّ عزائيا

(شفَّني: أضناني وأسقمني)

إلى أن يصل إلى قوله:

على مثل ليلي يقتلُ المرء نفسه ..
وإن كنت من ليلي على اليأس طاويا
خليلي إن ضنوا بليلي فقربا ..
ليَ النعش والأكفان واستغفرا ليا.

في الزهايمر:

يعتبر الزهايمر من أمراض العصر. ويرجع الأطباء السبب في انتشار الزهايمر الى الكثافة السكانية العالية التى تسود معظم الدول على مستوى العالم وبالاخص الدول النامية بالاضافة الى ارتفاع نسبة الاشخاص المعمرين والذين يعانى معظمهم من أمراض متعلقة بالمخ. أو أمراض نفسية أو عصبية أو وراثية.

أما في الشعر. قال صالح الكواز الحلّي:

قلبي خزانة كل علم ..
كان فى عصر الشباب
وأتى المشيبُ فكدتُ ..
أنسى فيه فاتحة الكتابِ.

يحكى أنه ذات مساء التقت فتاة بالشاعر بدوي الجبل. كانا صديقين قديمين. نادته باسمه ولم يدعها باسمها، فأنكرت ذلك في نفسها وهمست له: أنسيت اسمي؟! أطرق قليلاً ثم قال: للأسف نسيته، ثم غادرا المكان بعد اكتمال اللقاء، لكن سؤالها لم يغادر قلب شاعرنا. فكتب إليها:

قالت نسيت اسمي؟ فقلت لها أُعذُري ..
ذهب الشبابُ الغضُ وانقطع الرجا
ذهني تَبَبَّس طينُهُ. حتى غدتْ ..
تتدحرج الأسماء فيه تدحرجا.

في التِهابُ اللوْزَتَين:

اللوزتين هما خط الدفاع الأول ضد أمراض الجهاز التنفسي في الإنسان، والتهابهما هو مرض مؤلم ناتج عن إصابة إحدى اللوزتين أو كليهما بالبكتريا أو الفيروسات، وأكثر الفئات العمرية إصابة بالالتهاب ما بين العاشرة والأربعين. والسبب: العدوى البكتيرية أو العدوى الفيروسية. حيث أن اللوزتين هما بوابة الحماية للجسم من جهة الفم والأنف. أعراض إصابتهما: هو ظهور انتفاخ أو ورم مصحوب بألم في الحلق، وصعوبة في البلع، وتشتهر الحالات المزمنة منه بالصداع وألام في الظهر والشعور بالغثيان وتشنج في الرقبة، كما يبرز في الحلق خراج (تجمع صديدي) بجانب احد اللوزتين.

يقول الشاعر محي الدين عيسي، وقد مر بتجربة التهاب اللوزتين:

التهاب اللوزتين ..
نقمة في نقمتين
أضنتا جسمي فعانيت ..
الحمام ليلتين
فإذا رمت طعاما ..
لقمة أو لقمتين
كنت كالبالع موسى ..
حددت من طرفين

في أمراض الشيخوخة والشيب «الهرم»:

هي جملة الأعراض الطبيعية التي تصاحب كبار السن منها وهن عام في الجسم وضعف في أعضائه وقلة الحركة والشيب من الظواهر الطبيعية التي تحدث مع تقدم السن وينجم عادة عن نقص تدريجي في وظيفة الخلايا المختلفة في الجسم والتي يتكون في مجموعها وعمرها نشاط الجسم من خموله وفي الشيخوخة يشكو شاعرنا بقولة :

أصبحت لا أحمل السلاح ولا ..
املك رأس البعيران نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به ..
وحدي وأخشى الرياح والمطر.

وآخر حزين على ما أصبح إليه حالة في هرمه فيقول:

كفي حزنا أني أدب على العصا ..
فيأمن أعدائي ويبغضني أهلي
ويوصى بي الوغد الضعيف مخافة ..
على وما قام الحواضن عن مثلي

وسُئل الشاعر العربي الهرم كيف أصبح فقال:

أصبحت لا يحملُ بعضي بعضا ..
اشكوا العروق النابيات نبضا
كما تشكى ألا رحبي الغرضا
.. كأنما كان شبابي قرضا.

في الأمراض النفسية «الاكتئاب»:

مع أن هذه الأمراض لم يتعرف بها إلا في العصر الحديث إلا أن الشاعر العربي القديم أسبق في تشخيص هذه الأمراض والحديث عنها، قال أبو الطيب المتنبي:

والهم يخترم الجسيم نحافة ..
ويشيب ناصية الصبيُ ويهرم.

وقال أخر:

أناخ على الهم من كل جانب ..
بياض عذارى في سواد المطالب

في مرض الشره الغذائي:

البوليميا (الشره المرضي) مرض العصر، نتيجة ضغوط ونمط الحياة التي أصبحنا نعيشها. وهو مرض يرتبط بعنصر التغذية، ويهدد حياة الإنسان، لا سيما أن وراء الإصابة به، أسبابا نفسية وعصبية، وهذا المرض يتمثل بنمط معين في الأكل ذي طابع مرضي، إذ يقوم الشخص المصاب بالبوليميا، بالتهام الكثير من الطعام دون وعي أو مراقبة، الجدير ذكره أن البوليميين ليسوا بالضرورة أشخاصا سمينين، بل إن وزنهم - غالبا - طبيعي، وهم ينكبون على الأكل بشراهة غير طبيعية، فيلتهمون الأطعمة التي غالبا ما تكون بمثابة -طعام سريع- دون الإحساس بلذة ما يأكلون، ويستمرون في الأكل إلى درجة تفوق الشبع، إلى حد شعورهم بالتخمة والاشمئزاز من أنفسهم، والندم على ما أكلوه، فيهرعون إلى التقيؤ.

يقول الشاعر العربي واصفاً مريض الشره الغذائي:

يا أكلا ما اشتهاه ..
وشاتم الطب والطبيب
ثمار ما قد غرست تجني ..
فانتظر السقم عن قريب

ويقول الشاعر معروف الرصافي وهو يصف بعض الصائمين ممن لديهم هذا المرض والذين يتهافتون على الطعام غير مبالين بالعواقب:

وأغبى العالمين فتى أكول ..
لفطنته ببطنته انهزام
ولو أني استطعت صيام دهري ..
لصمت فكان ديدني الصيام

في كسور العظام التي ينتج عنها العرج:

قال هميم بن صعصعة، عم الفرزدق واصفاً عرجه البين المؤلم وقد جمع مترادفات العرج:

أعوذ بالرحمن من سوء العرج .. ومن جماع وظلاع وعرج

إن القناة بالفتى جد سمج ..
وكنت كالظبي إذا الظبي معج.

وقال مالك بن المحراس:

وكنت امشي على رجلين معتمداً
فصرت امشي على رجل من الخشب.

في السكر:

السكر من أمراض هذا العصر فهو يصيب الكبير والرضيع والمولود كما يذكر الأطباء أن الوراثة لها دور في ذلك.

يقول الشاعر (علي بن صالح الغامدي) يقول:

ما عاد للعسل الصافي لذائذه ..
ولا السكاكر رمز العيد تعتبر
فقد غدا السكر الملعون علتنا ..
البدو سيان في بلواه والحضر.

يشكو الشاعر من السكر وحرمانه للمصاب من ملذات الحياة وأن المرض أصاب الجميع من بدو وحضر.

في شحوب الجلد علامة من علامات اعتلال الجسم:

للشحوب في الطب أسباب فقد يكون لسبب نقص صباغ الملامين في الجلد وقد ينجم الشحوب عن تقلص في الشرايين الصغيرة في الجلد وقد يحدث ذلك أثناء هبوط ضغط الدم الشديد أو الألم المبرح وفقدان الدم الشديد أما في فقر الدم فينجم الشحوب عن نقص خضاب الدم في أوعية الجلد وقد ينجم فقر الدم عن سوء التغذية يقول شاعرنا العربي القديم.

تقول سليمي ما لجسمك شاحبا ..
كأنك يحميك الطعام طبيب.

وهذا آخر ينفي أن يكون قلة الطعام سببا لهزاله فيقول:

وفي جسم راعيها شحوب كأنه
.. هزال وما من قلة الطعم يهزُل.

واقع حكايات العدوى

ترجمة أحمد منصور

عندما وصل الطاعون إلى لندن عام 1665، خسر اللندنيون ذكائهم. استشاروا المنجمين والدجالين والكتاب المقدس. قاموا بتفتيش أجسامهم بحثاً عن علامات ورموز المرض من نتوء أو بثور أو بقع سوداء. توسلوا للنبوءات، ودفعوا للتنبؤات وصلوا ونحبوا بصوت عال. أغلقوا أعينهم وغطوا آذانهم. بكوا في الشارع. وقرأوا التقويمات السنوية المقلقة : «بالتأكيد، أخافتهم الكتب بشكل رهيب». وحرصاً منها على احتواء الذعر، حاولت الحكومة «قمع طباعة مثل هذه الكتب لأنها تبعث الخوف في الناس» ، وذلك وفقًا لـ ‹دانيال ديفو›، في مجلة «عام الطاعون»، وهو التاريخ الذي كتبه بالتزامن مع دليل المشورة بعنوان «الاستعدادات الواجبة للطاعون» في عام 1722، أي العام الذي خشي فيه الناس من أن يقفز المرض عبر القناة الإنجليزية مرة أخرى، بعد أن سافر من الشرق الأوسط إلى «مرسيليا»، ومنه شمالاً على متن سفينة تجارية.

كان ‹ديفو› يأمل في أن تكون كتبه مفيدة «لنا وللأجيال القادمة، على الرغم من أننا يجب أن نتجنب ذلك الجزء المرير من هذا الكأس». لقد خرج هذا الكأس المرير من دولابه.

في العام 1665 ، هرب السكان الفزعون إلى البلاد، وأيضا الحكماء، وندم أولئك الذين تأخروا: في الوقت الذي قرروا فيه المغادرة -بحسب رواية ‹ديفو›- «لم يكن هناك أي حصان للبيع أو لاستئجاره في المدينة بأكملها»، وفي هذه الحالة تم إغلاق البوابات وتمت محاصرة الجميع. كان الجميع يتصرفون بشكل سيئ، لكن تصرف الأغنياء كان الأسوأ : فبعد أن فشلوا في الالتفات إلى التحذيرات الخاصة بالتزويد، أرسلوا خدامهم الفقراء لجلب الإمدادات.

كتب ‹ديفو›: «كانت ضرورة الخروج من منازلنا لشراء المؤن في قدر عظيم من خراب المدينة بأكملها». توفي واحد من كل خمسة من سكان لندن، على الرغم من الاحتياطات التي اتخذها التجار. رفض الجزار تسليم الطاهية قطع اللحم. كان عليها أن تخلعه من الخطاف

بنفسها، وكان عليها أن تلقي بنقودها المعدنية في دلو من الخل. ضع ذلك في الاعتبار عند نفاد المطهر.

كتب ‹ديفو›: «بدا الحزن و الكآبة على محيا كل وجه». ثبت أن تضييق الحكومة على نشر الكتب المرعبة لا جدوى منه، حيث كان هناك الكثير من الرعب الذي يمكن قراءته في الشوارع من لائحة الوفيات الأسبوعية، أو حساب الجثث وهي تتراكم في الممرات، أو الأوامر التي نشرها رئيس البلدية: «إذا ما زار أي شخص أي رجل معروف بإصابته بالطاعون، أو دخل طوعًا في أي بيت معروف سلفا أنه مصاب، وغير مسموح بدخوله: سيتم إغلاق المنزل الذي يسكنه.» ويمكنك أيضا قراءة اللافتات على أبواب تلك المنازل المصابة التي يحرسها الحراس، كل باب عليه صليب أحمر بطول قدم مكتوب فوقه بأحرف بارزة يكن قراءتها من بعد «يا رب، ارحمنا «.

القراءة عدوى، تتغلغل في المخ : الكتب تلوث مجازياً وحتى ميكروبيولوجياً. في القرن الثامن عشر، تعهد قباطنة السفن الذين وصلوا إلى الميناء بأنهم قاموا بتطهير سفنهم، وذلك بأداء اليمين على الأناجيل التي غمست في مياه البحر. وبسبب المخاوف من مرض السل، قامت المكتبات العامة بتبخير الكتب عن طريق ختمها في أوعية فولاذية مملوءة بغاز ‹الفورمالديهايد›. في هذه الأيام يمكنك معرفة كيفية تطهير الكتب عبر موقع ‹ريديت›، يبدو أن أفضل رهان هو، إما أن تمسحها بالكحول أو تطهرها ببخاخ رذاذ، على الرغم من أنك إذا ما وضعت كتباً في فرن صغير وقمت بتسخينها إلى مائة وستين درجة فهرنهايت، فهناك مكافأة: ستقتل البق أيضاً. («لا تضر الكتب!»)، أو، كما حدث أثناء عمليات إغلاق الفيروسات التاجية يمكن للمكتبات ومحلات بيع الكتب أيضًا إغلاق أبوابها.

غير أنه بالطبع، الكتب أيضاً مرهم وعزاء. في القرون الماضية التي دمر خلالها الطاعون أوروبا، قام الناس في الحجر الصحي بقراءة الكتب إن كانوا محظوظين بامتلاكها، وإلا فإنهم كانوا يروون القصص إن كانوا جيدين في ذلك. في مجموعة روايات «الكوميديا البشرية› للكاتب جيوفاني بوكاتشيو، من القرن الرابع عشر، تناوبت سبع نساء وثلاثة رجال على سرد القصص لمدة عشرة أيام أثناء الاختباء من الموت الأسود –» كانت نسبة الوفيات لهذا الوباء الأخير مؤذية عالمياً لكل من رأوها» – وباء سيء السمعة لدرجة أن ‹بوكاتشيو› توسل لقرائه بأن لا يمتنعوا عن حمل كتابه لأنه مخيف جداً: «أتمنى أن لا يكون الأمر مروعاً بالنسبة لك مما يعوق مواصلتك للقراءة.»

أدب العدوى تافه. الطاعون يشبه جراحة في فصوص المخ. إنها تقطع العوالم الأعلى، والقدرات البشرية المتغطرسة، وتترك الحيوان فقط. كتبت «ماري شيلي» في روايتها «الرجل الأخير» عام 1826 بعد أن دمر المرض العالم : «وداعاً لقوى الإنسان العملاقة ... وداعاً للفنون – وللفصاحة». إن كل قصة وبائية هي قصة الأمية واللغة التي أصبحت عاجزة والإنسان الوحشي.

ولكن يعتبر وجود الكتب، بغض النظر عن مدى كآبة الحكاية، في حد ذاته علامة ودليل على أن البشرية تتحمل في ظل عدوى القراءة نفسها. قد تكون القراءة عدوى، وعقل الكاتب يتسرب دون القدرة على إيقافه في ذهن القارئ. ومع ذلك ، فهي أيضًا – في حميميتها، حميمية محظورة في أوقات الطاعون بكل أنواعها – ترياق مثبت وناجح ورائع.

تحاك الحكايات حول الطاعون في سلسلة من القصص من «أوديب ريكس»، إلى «الملائكة في أمريكا». إذ يقول رجل أعمى لأوديب «أنت الطاعون». تقول شخصية «توني كوشنر»: «إنه العام 1986 وهناك طاعون، مات أصدقاء أصغر منا وأنا فقط في الثلاثين من عمري».

هناك طاعون في كل مكان، من ‹شيبيس› إلى نيويورك، مروعة وشنيعة، بأنواع متعددة، حتى قررت «ماري شيلي» كتابة رواية تتبع مسار «فرانكنشتاين».

جرت أحداث رواية «الرجل الأخير» في القرن الحادي والعشرين، وهي أول رواية رائدة تتخيل انقراض الجنس البشري عن طريق جائحة عالمية. قامت شيلي بنشرها في سن التاسعة والعشرين من عمرها، بعد وفاة تقريباً كل شخص تحبه، وتركهم لها ، وعلى حد تعبيرها «آخر بقايا عرق محبوب، رفاقي، انقرضوا أمامي». يبدأ راوي الكتاب بصفته راعياً إنجليزياً فقيراً وغير متعلم: رجل بدائي وعنيف ولا يهتم بالقانون ووحشي. يعمل أحد النبلاء على تثقيفه وإيقاظ رغبة التعلم عنده – «حب المعرفة الجاد. . . جعلني أقضي أياماً وليال في القراءة والدراسة «– إذ أسهم عصر التنوير في رقيه وأصبح عالماً ومدافعاً عن الحرية وجمهورياً ومواطناً عالمياً .

ثم في العام 2092 وصل الطاعون وخرّب في البداية القسطنطينية. عاماً بعد عام، يموت الوباء كل شتاء ويعود كل ربيع أكثر ضراوة وأكثر انتشاراً. يصل عبر الجبال وينتشر عبر المحيطات. تشرق الشمس بلون أسود: علامة الموت. كتبت شيلي: « كان هناك ذعر مفاجئ مر عبر آسيا من ضفاف النيل إلى شواطئ قزوين، ومن ‹هيلسبونت› وحتى بحر عمان ... لقد ملأ الرجال المساجد. سارعت النساء المحجبات إلى القبور وحملن القرابين للموتى من أجل الحفاظ على الأحياء « . وما تزال طبيعة الوباء غامضة. «أطلق عليه اسم وباء، لكن بقي السؤال الكبير غير مستقر بشأن كيفية توليد هذا الوباء وزيادته». يتردد المشرعون في فعل أي شيء بسبب عدم فهم عمله وبسبب الثقة الزائدة الزائفة». كانت إنجلترا ما تزال آمنة. وكانت فرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا بمثابة جدران حصينة بيننا وبين الطاعون. ثم تأتي تقارير عن دول بأكملها مدمرة ومهجورة. «إن المدن الأمريكية الشاسعة، والسهول الخصبة للهندوستان، وأماكن الإقامة المزدحمة بالصينيين مهددة بالدمار التام». العودة المخيفة للتاريخ متأخرة للغاية وموجود في صفحاته، حتى في صفحات ‹ديكاميرون›، الدرس الخاطئ: «لقد استدعينا إلى الذهن وباء 1348، عندما أحصينا دمار ثلث البشرية. حتى الآن كانت أوروبا الغربية غير مصابة. هل سيكون الأمر كذلك دائمًا؟ « لن يكون كذلك دائمًا. حتمًا سيأتي الطاعون أخيرًا إلى إنجلترا ولكن بحلول ذلك الوقت لم يعد هناك أي مكان آخر للذهاب إليه لأنه في الرعب الأخير للوباء، إذ لا يوجد «ملجأ على الأرض»: «الطاعون في كل العالم!»

إذا كانت «شيلي» قد تخيلت في «فرانكنشتاين» خلق رجل عن طريق خياطة أجزاء الجسم معًا، فقد تخيلت في «الرجل الأخير» تمزيق الحضارة. موتاً من بعد موت، كل بلد على حدة، يتهاوى الجنس البشري في الدرك أسفل سلمٍّ كان قد بناه وتسلقه. يشهد راوي «شيلي»، الراعي السابق على تدمير جميع «زينة البشرية» التي زينت نفسه العارية والتخلي عنها: القانون والدين والفنون والعلوم والحكومة الليبرالية («لم تعد هناك أمم!») والحرية والتجارة والأدب والموسيقى والمسرح والصناعة والنقل والاتصالات والزراعة. «عقولنا التي انتشرت خارجاً في وقت متأخر عبر مجالات لا حصر لها ومجموعات لا نهاية لها من الفكر تراجعت الآن خلف جدار هذا الجسد، ومتلهفة للحفاظ على رفاهيته فقط». وبينما يضع الوباء النفايات على كوكب الأرض، فإن القلة الذين ينجون ينجرفون نحو القبائل المتحاربة، ليترك رجل واحد فقط، الراوي، الراعي مرة أخرى. يتجول وسط أنقاض روما ويدخل منزل كاتب ويجد مخطوطة على مكتبه: «احتوت على مقالة رزينة حول اللغة الإيطالية». الكتاب

الأخير هو دراسة اللغة، أول زينة للبشرية. وما الذي سيفعل الراوي وحده في العالم؟ «أنا أيضا سأكتب كتاباً ، بكيت – لمن أقرأ؟» يسميه «تاريخ الرجل الأخير» ، ويكرسه للأموات. لن يكون هناك قراء. باستثناء –بطبيعة الحال– قراء كتاب شيلي.

كان الحلم العظيم للتنوير في تقدم، والرعب العظيم من الوباء في تراجع. وفي الأدب الأمريكي، غالباً ما يأتي هذا الدمار مع تطور ديمقراطي حيث أن العدوى هي المستوى الأخير. تدور أحداث قصة ‹إدغار آلان بو› عام 1842 «قناع الموت الأحمر» في عالم من القرون الوسطى يعاني من مرض معد يقتل على الفور تقريباً. وكتب بو «كانت هناك آلام حادة ودوخة مفاجئة ثم نزيف غزير في المسام مصحوب بالذوبان ... كانت البقع القرمزية على الجسد وخاصة على وجه الضحية بمثابة خطر الآفات الذي يمنعه من المساعدة ومن تعاطف المواطنين». وبخاصة، لم يكن لدى الأغنياء أي تعاطف مع الفقراء. (وقد يكون ذا صلة بحياة ‹بو›، فقد تركه زوج والدته الغني مفلساً بينما أتخم زوجته بالاستهلاك حد الموت.) ينعزل أمير متغطرس ونبلاؤه من الرجال والنساء «عزلة عميقة في إحدى أديرته المطوقة» ، حيث يعيشون في ترف فاسد حتى أتاهم شخص يرتدي قناعاً في إحدى الليالي في كرة ملثمة «تم صنعه تقريباً ليماثل وجه الجثة المتصلبة». إن هذا الزائر هو الموت الأحمر ذاته. الجميع في الدير يموتون في تلك الليلة. لا يستطيع النبلاء الهروب مما يجب على الفقراء تحمله.

ويصبح الموت الأحمر عند ‹بو› جائحة في رواية ‹جاك لندن› «الطاعون القرمزي» التي نشرت في حلقات في العام 1912 . (المرض هو نفسه: «يتحول الوجه والجسم بالكامل إلى اللون القرمزي في غضون ساعة.») جاء الطاعون في العام 2013 ، وفتك بالجميع تقريباً، من كل الطبقات الاجتماعية، والدول القوية والضعيفة، في كل أنحاء العالم، وتركت الناجين متساوين في بؤسهم وانعدام الجنسية. أحد أولئك الناجين القلائل كان باحثاً في جامعة كاليفورنيا، «بيركلي»، أستاذ الأدب الإنجليزي. عندما انتشر المرض اختبأ في مبنى الكيمياء، واتضح أنه محصن ضد الفوعة. عاش لسنوات بمفرده في فندق قديم في ‹يوسمايت› مستفيداً من مخازنه من الأطعمة المعلبة، حتى انضم إلى فرقة صغيرة من السائقين بقيادة رجل غاشم كان سائقاً في السابق، وبعدها وجد زوجة. عندما بدأت الرواية، في العام 2073 ، كان البروفيسور رجلاً عجوزاً جداً، راعياً، مرتدياً جلد حيوان– «معلقا قطعة واحدة من جلد الماعز حول صدره وكتفيه» – ويعيش مثل الحيوان. يروي قصة الطاعون القرمزي لأحد أحفاده الأولاد الذين «يتحدثون بمقاطع أحادية وجمل متشنجة قصيرة كانت أقرب إلى الرطانة منها إلى اللغة» ، لكنهم مفيدون جداً مع القوس والسهم. إن بدائيتهم تزعج الأستاذ الذي يتنهد وهو ينظر عبر ما كان يُعرف سابقاً بسان فرانسيسكو: «حيث قام أربعة ملايين شخص بالانتحار، وحيث تتجول الذئاب البرية في هذه الأيام، والنسل الهمجي لذواتنا، بأسلحة ما قبل التاريخ، يدافعون عن أنفسهم ضد السلب النابض. فكر بالأمر! وكل ذلك بسبب الموت القرمزي « .

سرق ‹لندن› الموت الأحمر من «بو» وأخذ حبكة «الطاعون القرمزي « من «الرجل الأخير» – باستثناء أن حجة ‹لندن› ، حول تراجع وسقوط البشرية أقل دقة من حجة شيلي. يشرح البروفيسور: «إن الجنس البشري محكوم عليه بالغرق إلى أعماق الليل البدائي ، ومرة أخرى يبدأ صعوده الدموي إلى الحضارة». بالنسبة إلى ‹لندن› ، فإن الرأسمالية الصناعية والإمبريالية ، وليس محرك التنوير للتقدم الأخلاقي، هما اللذان ساهما في الارتقاء من

الوحشية إلى الحضارة ومن الندرة إلى الوفرة. هبوط الانسان عند ‹لندن› هو هبوط إلى قلب الظلام الخاص بعمر الإمبراطورية: لأحفاد الأستاذ «بشرة بنية». جمع الرأسماليون والإمبرياليون ثروات مذهلة قبل ظهور الطاعون. «ما هو المال؟» يسأل الصبيان جدهم عندما يستخدم تلك الكلمة لوصف عملة يجدونها، سكت في العام 2012. («تلألأت عيني الرجل العجوز بينما كان يحمل العملة».) كل هذا – الجلد الأبيض والثروات – ضاعت ! تتعلق أكبر محنة عند البروفيسور في إقدام السائق السابق على تزوج زوجة سابقة لرجل غني جدا بالقوة: «كانت هناك ، ‹فيستا فان واردين›، الزوجة الشابة لـ‹جون فان واردن› ، مرتدية ثياب رثة، وبيديها تشوهات وندوب وتعب، منحنية نحو نار المخيم وتقوم بأعمال الطبخة الوضيعة – إنها «فيستا» التي ولدت في أكبر بارونات الثروة التي عرفها العالم على الإطلاق.» وبنفس القدر من الحزن، فبعد أن غزا القارة، فقد الرجل الأبيض في النهاية الغرب والشرق أيضاً. حاول الأستاذ أن يصف لأحفاده المتوحشين سقوط المدن الأمريكية، التي علم بمصيرها في الأيام الأولى للوباء، عندما كانت الأخبار ما تزال تصل إلى كاليفورنيا من أجزاء أخرى من البلاد، قبل وفاة آخر مشغلي التلغراف:

((كانت مدينتا نيويورك وشيكاغو في حالة من الفوضى... وقُتل ثلث شرطة نيويورك بمن فيهم رئيسهم ورئيس البلدية. توقفت كل القوانين والأنظمة. وألقيت الجثث في الشوارع. و توقفت جميع خطوط السكك الحديدية والسفن التي تحمل الطعام ومثل هذه الأشياء إلى المدينة العظيمة عن العمل، وكان حشود الفقراء الجياع ينهبون المتاجر والمستودعات. القتل والسطو والسكر في كل مكان. وهرب الناس بالفعل من المدينة بالملايين – هرب الأغنياء في البداية في سياراتهم الخاصة ومركباتهم القابلة للانفجار، ثم باقي الجماهير الكبيرة من السكان سيرا على الأقدام وحاملين معهم الطاعون وهم أنفسهم يتضورون جوعا وينهبون المزارعين و كل البلدات والقرى على الطريق. احترقت جميع المدن. حتى انفجرت مناطيد الأغنياء، في عالم لهندنبورغ.))

يحتوي «الطاعون القرمزي»، الذي نُشر قبل الحرب العظمى مباشرة، على تحذير بشأن تكلفة الحرب العالمية، وحتى تكاليف العيش في العالم. يشرح البروفيسور: «منذ فترة طويلة جداً، عندما كان هناك عدد قليل من الرجال في العالم، كان هناك عدد قليل من الأمراض ... ولكن مع زيادة الرجال وعيشهم عن كثب في مدن وحضارات عظيمة، ظهرت أمراض جديدة ، ودخلت أنواع جديدة من الجراثيم إلى أجسادهم. وهكذا قُتل ملايين ومليارات لا تحصى من البشر. وكلما ازدادت كثافة الرجال معاً، زادت فظاعة الأمراض الجديدة.» أحفاده لا يستطيعون فهم أي من هذا. قال لهم: «أعطى تعداد عام 2010 ثمانية مليارات للعالم أجمع». بالكاد صدقوه ، ولم يكن لديهم أدنى فكرة عما يمكن أن يكون مليار، أو تعداد، أو عالم.

قال الأستاذ: «مرت عشرة آلاف سنة من الثقافة والحضارة في طرفة عين». أصبح أمين مكتبة حتى يتمكن من أرشف تلك العشرة آلاف سنة. قام في كهف في ‹تلغراف هيل› بتخزين جميع الكتب التي يمكنه العثور عليها، وعلى الرغم من أنه الرجل الوحيد الذي يعرف كيف يقرأ. يخبر أحفاده ، في الفصل الأخير من الرواية ، قائلاً: «إنها حكمة عظيمة» ، موضحًا أنه ترك مفتاحًا للحروف الأبجدية. عاهدهم أنه «في يوم ما سيقرأ الرجال مرة أخرى». ليس لديهم فكرة عما يتحدث. ما يزال القارئ يفعل.

إن بنية رواية الطاعون الحديثة ، وصولاً إلى رواية «The Stand» لستيفن كينغ وما بعدها من روايات أخرى، هي سلسلة من التغيرات في

«مجلة عام الطاعون» (قصة تقع داخل جدران الحجر الصحي) و «الرجل الأخير» (قصة تدور بين عصابة ممزقة من الناجين). ضمن هاتين البنيتين، على الرغم من ذلك، فإن نطاق رواية القصص واسع، وكذلك نطاق الأخلاق والحجة التاريخية والتفكير الفلسفي. كل روايات الطاعون متشابهة.

عرف أ›البرت كاموس‹ ذات مرة الرواية على أنها المكان الذي يتم فيه التخلي عن بشر لبشر آخرين. ورواية الطاعون هي المكان الذي يتخلى فيه جميع البشر عن جميع البشر. على عكس الأنواع الأخرى من خيال نهاية العالم، حيث يمكن أن يكون العدو كيماويًا أو براكينًا أو زلازلا أو غزاة أجانب، فإن العدو هنا هو بشر آخرون: لمسة البشر الآخرين ، ورائحتهم ، وفي كثير من الأحيان – في التنافس على تناقص الموارد – مجرد وجود بشر آخرين.

حاك ‹كاموس›، في روايته لعام 1947 «الطاعون»، القصة داخل أسوار مدينة جزائرية مستعمرة من طرف الفرنسيين تحت الحجر الصحي خلال الحرب العالمية الثانية (يُطلق العام على أنه ألف وتسعمائة وأربعون وكذا). ؛مع كل النذر والنبوءات وكباش الفداء ،فلربما كانت تشير إلى لندن في العام 1665 . فشل الدكتور ‹برنارد ريو› مع الجميع في البداية في قراءة الإشارات. (يُزعم أن تكون الرواية مكتوبة من مذكرات ‹ريو› عن عام الطاعون). شاهد تعثر الفئران على عتبة بابه:

تحركت في تيه من أمرها وكان فرائها يتقطر ماءً. توقف الحيوان وبدا أنه يحاول الحصول على توازنه ، تحرك إلى الأمام مرة أخرى نحو الطبيب، توقف مرة أخرى، ثم لف حول نفسه بقليل من الصرير وسقط على جانبه. كان فمه مفتوحًا بعض الشيء يتدفق منه الدم. بعد أن نظر إليها للحظة صعد الطبيب إلى الأعلى .. تخرج الفئران من الأقبية وتموت في الشوارع في أكوام. ومع ذلك، لم يقم لا الطبيب ولا أي شخص آخر بأي شيء على الإطلاق، حتى بعد وفاة الإنسان الأول وهو بواب. ثم استيقظ الضمير: «بعد مراجعة تلك المرحلة الأولى في ضوء الأحداث اللاحقة ، أدرك سكان بلدتنا أنهم لم يحلموا أبدًا أنه من الممكن اختيار بلدتنا الصغيرة لمشهد مثل هذه المشاهد البشعة مثل موت الفئران بالجملة في وضح النهار أو وفاة البواب بسبب أمراض غريبة «))

سرعان ما علمنا أن «بلدتنا بأكملها تعاني من الحمى». يرتفع عدد الحالات ثم يقفز. إحدى عشرة حالة وفاة في ثمان وأربعين ساعة، ثم يزداد العدد. ترغب لجنة الصحة الحكومية في تجنب استخدام كلمة «الطاعون»، ولكن ما لم يتم استخدامها فإن تدابير الطوارئ لا يمكن تنزيلها. يتم نشر الإشعارات، ولكن فقط في الأماكن غير المكشوفة، وبأحجام صغير جداً، وكما لاحظ الطبيب، «كان من الصعب العثور في هذه الإشعارات على أي إشارة إلى أن السلطات كانت تواجه الوضع بشكل مباشر». وأخيرًا، وفي حالة من اليأس، تتبنى الحكومة سياسة «إبادة الفئران»، وعندما مات ثلاثون شخصاً في يوم واحد، أغلقت المدينة.

وبطبيعة الحال ، فإن الطاعون هو فيروس الفاشية. لم يفكر أحد في البلدة في الفئران حتى فات الأوان – على الرغم من أن الطاعون «يستبعد كل المشاريع المستقبلية، ويلغي الرحلات، ويوقف تبادل وجهات النظر» – وقلة هم من اهتموا بالجرذان حتى بعد فوات الأوان. هذه حماقتهم: «لقد اعتقدوا في أنهم أحرار، ولن يكون أحد مطلقاً حراً ما دام هناك آفات».

«الطاعون» لا يؤرخ لوباء ، بمعنى أن الطاعون لا يهرب من المدينة، ومع ذلك فإن طاعون ‹كاموس› طاعون بلا نهاية. لكن يتعلم ‹ريو›، من قراءة التاريخ، أنه يوجد بالفعل وباء واحد فقط، عبر تاريخ كل البشرية، ينتقل من مكان إلى آخر، عبر مرور الزمن، من «المدن الصينية

المزدحمة بضحايا صامتين في عذابهم» إلى « منصات نقالة رطبة ومتعفنة عالقة في أرض الوحل في بيت القسطنطينية، حيث يتم نقل المرضى من أسرَّتهم بخطافات»، إلى «حمالات العربات من الجثث تتدحرج في الظلام الغامض في لندن – الليالي والأيام مليئة دائمًا، في كل مكان، بصرخة أبدية من الألم البشري « . التالي في القائمة؟ أ›وشفيتز‹ و ›داخاو‹ و ›بوخنوالد‹. الطاعون هو الإنسان.

›ريو‹ المسكون بهذه المعرفة، والمحبوس في ملجأ غير مرغوب فيه يعاني من أقصى درجات العزلة ومن عزلة ووحشية الحداثة:

في منتصف الليل في بعض الأحيان، في الصمت القاتم للبلدة التي قيدها بالنوم ، قام الطبيب بتشغيل الراديو الخاص به قبل الذهاب إلى الفراش لينام لساعات قليلة. ومن نهايات الأرض، عبر آلاف الأميال من البر والبحر، حاول المتحدثون أن يعبروا بلطف وبحسن نية عن مشاعرهم ، وقد فعلوا ذلك بالفعل ، ولكنهم أثبتوا في الوقت ذاته العجز التام لكل شخص للمشاركة في المعاناة التي لا يستطيع رؤيتها .

بالنسبة لأولئك الذين هم في عزلة، لا يوجد عالم: «لقد ابتلع الطاعون كل شيء وكل شخص.» تم انقاذهم، في اللحظة الأخيرة، بواسطة مصل، وثارت البلدة في احتفال بهيج. في الكلمات الختامية للرواية، فكر الطبيب في قراءته. لقد كان يعرف ما لم تكن تعلمه تلك الجماهير المبتهجة ولكن كان بإمكانها أن تتعلم من الكتب: إن عصية الطاعون لا تموت أو تختفي إلى الأبد . . . وربما يأتي اليوم الذي، من أجل خراب الرجال وتنويرهم، تستيقظ فئرانه مرة أخرى ويرسلهم ليموتوا في مدينة سعيدة. « سيصبح الرجال دائماً ، مرة أخرى ، فئران.

ملاحظة ›كاموس‹ حول «العجز التام لكل شخص للمشاركة في المعاناة التي لا يستطيع رؤيتها» هو موضوع إعادة تصور رائعة ومدمرة لحكاية الطاعون ل›خوسيه ساراماغو‹ في رواته «العمى»، من العام 1995 ، حيث يكون الطبيب الذي يشبه ›ديفو‹ طبيب العيون والمرض الذي يختزل البشر إلى الحيوانات هو عدم القدرة على الرؤية. وكمثل تاريخي، يشير «العمى» إلى الدولة الاستبدادية في القرن العشرين: مأسسة الضعفاء، وقسوة الحكام العسكريين. عندما يضرب المرض، تقوم الحكومة بجمع جميع المكفوفين وحبسهم في ملجأ عقلي، حيث يتحاربون مع بعضهم البعض ويسرقون ويغتصبون. وكتب ›ساراماغو‹ في أحلك ملاحظة في الرواية: «المكفوفون هم دائماً في حالة حرب». لكن «العمى» أعمق بكثير من أي درس في التاريخ. بالنسبة لـ›ساراماغو‹ العمى ليس مرضاً، العمى هو حالة الإنسان. لم يبق في الرواية سوى شخص واحد مبصر. تقرأ للمكفوفين، وهي بالنسبة لهم جنة وسخط: «هذا هو نجيد فعله، أن نستمع إلى شخص يقرأ لنا قصة البشرية التي كانت موجودة أمامنا». وهو في رواية الطاعون الحديثة الرعب النهائي لكل طاعون عالمي أي فقدان المعرفة الذي تمثل القراءة علاجه الوحيد. هذا الإدراك هو الذي سيطر على طبيب العيون في رواية ›العمى‹ في نفس اللحظة التي يفقد فيها بصره ، قبل أن يُعرف المرض : فهم عظمة المعرفة وجمالها وهشاشتها. احتار بسبب مريض جاء إلى مكتبه بعد أن أصيب فجأة بعمي لا يمكن تفسيره – لا يرى سوى البياض الدامس – يذهب طبيب العيون إلى المنزل ، وبعد العشاء ، يستشير الكتب في مكتبته. كتب ساراماغو: «في وقت متأخر من تلك الليلة ، وضع جانبا الكتب التي كان يدرسها ، وفرك عينيه المرهقتين ، واتكئ على كرسيه.» قرر أن يذهب ، في النهاية ، إلى الفراش. «حدث ذلك بعد دقيقة من جمع الكتب لإعادتها إلى رف الكتب. أدرك في البداية أنه عاجز عن رؤية يديه ، ثم عرف أنه أعمى « .

كل شيء أصبح أبيض. أبيض مثل صفحة فارغة.

على شفا حفرة من الحب المريض

محمد عطية محمود. مصر

لا يزالُ مفهوم الحبُّ لغزًا غَامضًا عصيًّا عَلَىَ التَّفسير، أو على المَنْهَجَةَ الَّتي ربما أعطت تعريفًا تقريبيًّا أو تمييزًا له دون سائر العواطف الإنسانية السامية كالرحمة والمودة والإيثار والتعاطف والتكافل التي أتى بها الكتاب العزيز في محكم التنزيل: «وجعل بينكم مودة ورحمة»، ولم يقل «حُبًّا»، فلا أحد يعرف معنى الحب تحديداً، وما وجه ارتباطه بالعاطفة الوجدانية بالأساس.. هل هو عمادها؟ أم هو مجرد صورة تعبيرية/ تمثيلية من صورها؟.. وربما كان من أقل المعاني ارتباطًا بتلك العواطف؛ فهو المتقلب والمتغير والمتحزب، والذي من السهل أن ينقلب إلى كراهية وانتقام، أو هو حب ذاتي بالأساس؛ فالأنانية جذر من جذور الحب الخفية التي تروم الامتلاك والتحكم، ومن أشد أنواعه افتراساً وقوةً وبطشاً بإفراطها في ممارسة تلك العاطفة داخلياً وإيثار الذات على من وما عداها، وهو ربما ما دفع البشر إلى استعمال كل القوى الإيجابية والسلبية لتحقيق سعادته الوهمية لتلك الذات المدللة التي لا تعرف سوى ذاتها، وربما قتلت أو سرقت أو نهبت كي تستأثر، وربما انتقمت ممن تخلى عن ودها أو انفرط عقد علاقتها به، وقصص الغرام القاتلة أكثر من أن تكون مثالاً واحداً، وأدبيات الغرام المليئة بالغل والحقد والانتقام مليئة بهذا وذاك..

المشكلة تكمن في تعبير تلك الذات عن هيمنتها، حين تدمِّر الآخرين من أجل تلك السعادة المسروقة، بل والمتوهمة، والتي هي في الواقع سراب في سراب، فالسعادة أمر نسبي.. فماذا يبقى لك بعدما يفنى الآخرون أو يبتعدون عن مجال تأثيرك وتأثرك بهم، وأنت تستأثر بكل ما جناه الحب – الذي صار مرضاً عضالاً – لصالحك أنت، وأنت تخلق على الجانب الآخر ممن تحبه حباً لذاتك وأنانيتك، كياناً أكثرَ توحشاً وقسوةً عليك وعلى الآخرين، وأكثر عدوانية وشراسة وتدميراً على كل المستويات المتخيلة وغير المتخيلة..

من هذا المنطلق تأتي المعضلات الكبرى التي تؤثر على وجود البشر، كنتيجة لما يفعلونه بأنفسهم باقتراف هذا الحب المزعوم أو الكائن المتوحش الذي إن لم يجد ما يلتهمه فسوف يلتهم نفسه ويضرم فيها النار ليصير شيئاً آخر غير كونه حبّاً.. هذا الحب/ الغول/ العنقاء يتمثل في هذا الوباء الذي يصنعه الإنسان ليستأثِرَ بمقدرات البشر فيدمر به من حوله، وهو يرضي ذاته وغروره ومنطق هيمنته على المصائر وجعلها دمية في يديه أو قطع شطرنج يضحي بها في سبيل الحفاظ على قطع أكبر أكثر أهمية، كالجنود الذين يدفعهم بلا ذنب إلى خط النار، وأمام البلاء الذي صنعه فريسة وضحية ثم يحارب مصراً على القصاص لهم من وهم هو صانعه ليمجد ذاته في كل الحالات .

قرن جديد من الأوبئة والحروب :

منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى، التي تفرغ فيها العالم للدفاع عن غريزة البقاء والنرجسية التي يدفع إليها حب الذات، بغض النظر عن الأسباب الأخرى المضافة التي أدت إلى اندلاعها، وحصدها للأرواح في كافة مناطق الصراع، ثم اندلاع وباء الأنفلونزا الإسبانية في 1920 والتي حصدت ملايين الأرواح، والعالم لا يتوقف عن اختراع حروبه الجديدة البيولوجية والعسكرية لكي تنتصر غريزة الأنانية المفرطة، وما يستتبعها من حالات الاستنفار ليدخل العالم حربه العالمية الثانية على أنقاض الأوبئة التي تذهب بالغالي والنفيس، ولتصير الحرب العالمية الثالثة بعد قرن من الأولى حربا نفسية وبيولوجية مفتوحة على مصراعيها بلا نهاية ونحن في العام 2020

في إحدى روايات «سومرست موم» الكاتب

الإنجليزي الأشهر، تعطي الممرضة السم المصنوع القاتل، للرجل، وتتعاطاه معه، ثم تعود كي تتلقى الجرعة المضادة/ المصل، كي تنجو بحياتها، ويكون هو قد انتهى.. أرى أن هذه العلاقة العجيبة هي ما يحدث حولنا وبين أيدينا الآن، من يشرب السم معك يخدعك ويتحصن بالمصل الذي يصنعه مسبقاً.. الغريب أن في الرواية هناك عدالة، لكن في واقعنا من يستطيع أن يواجه ويصرح بهذه الحقيقة المفجعة؟

ثم تأتي مرحلة جديدة من تطوير الأوبئة والفيروسات، لتعمل المعامل البيولوجية والعلماء الذين يكرمهم العالم بجائزة نوبل والجوائز العلمية الكبرى، ويخرج علينا العالم بنوع جديد من أنواع الدفاع عن الذات إمعاناً في حبها، فتتطور الأوبئة، ونصل إلى ما هو أخطر مما يخرج من هذه المعامل والمخترعات، وتأتي الجمرة الخبيثة لتشيع رعباً وهلعاً تحركه القوة الغاشمة المتحكمة بالعالم، كما أتت قبلها القنابل النووية لتخلق أجيالاً من المشوهين والمعتوهين والعديد من الأمراض الذهنية والسريرية التي لم تكن موجودة من قبل كالسرطانات، والأضرار المتخلفة عن الإشعاعات التي تنتج من المفاعلات النووية القائمة أو التي تم تدميرها، ككارثة تشرنوبل..

وهي العوامل والإحداثيات التي هي كلها بالأساس معاول للحفاظ على الكيانات وإفراط في الحفاظ على الذات المتكبرة وحب لها.. كما تأتي الاستنساخات التي تروج لها السينما العالمية الموجهة، بعدما افتتح الأدب هذه الحالة من ترويج العلم الضار الفاتك بالبشرية باسم البقاء والحفاظ على الذات وتحويطها وحبسها في الشرنقة التي يبدو كل من هو خارجها عدواً مهدداً لأمن وجودها، لتصنع أشكالاً جديدة من الصراع على الحياة والتشرنق، وتزيد من مساحة الحب للذات والكره للآخرين، والعمل على تدميرهم.

على شفا حفرة :

ثم يأتي البيولوجيون العظام، عملاء الأنظمة الأكثر فاشية والأكثر عدواناً على البشرية، ليعلنوا بمنتهى الصفاقة والاستهتار أنهم توقعوا تحديداً عدد المصابين في جائحة الكورونا في الصين التي تم تصنيع وتحوير الفيروس لها لينطلق منها الوباء إلى العالم، ولتكون بؤرة له، وكذا عدد الخسارات من أرواح البشر من قبل أن تنقشع غمة الوباء لديهم، والأدهى أنهم يتوقعون الأعداد المرشحة للابتلاء بالوباء في العالم، وعدد من سيروحون ضحية الحب للعالم والبشر..

هكذا يكون الحب، حب الذات حب الأنا، تلك الجائحة الأكثر إمعاناً وفتكاً بالبشر في ثوبه الأكثر انكشافاً وبشاعة.. أرى الحب في هذه الحالة كائنًا بشعاً مُجرماً من مُجرمي الإنسانية المعذبة ومحرر في العواطف والأحاسيس النبيلة الذي تحوَّل إلى دراكولا الذي لا يكتفي بامتصاص الدماء بل وتحويلها إلى مدمرات لكل طاقات الوجود الإنساني، ثم يصنع منها أمصالاً لمواجهة ما اقترفت يداه، وليحصد المزيد من المال والجاه والعنفوان من جديد..

هل هذا هو مفهوم الحب للبشرية، وإنسانها المتألم بنيران الفقد والوجع والجوع والمرض، واصطلائه بهم العيش والوجود على سطح هذا الكوكب؟.. لقد نُسِفَ تماماً مفهوم الحب، وصار مسخاً، بعدما ضاع معناه الحقيقي في كثير من النفوس والضمائر، من قبل قرون جديدة من صناعة الوباء باسم الحفاظ على هيمنة الأنوات العليا المتجبرة على كل شيء، والتي لا تتوقف عن القتل وتستبيح وتقدر وتستطيع وتتصارع على فعل كل شيء متشبهة بالآلهة، فهي من أتت بالداء فعليها أن تصنع الدواء، لتكتمل ألوهيتها بالشفاء الذي يبطن في داخله الدمار باسم حب الإنسانية، في غياب الرحمة والمودة اللذين هما أهم من مجرد كلمة حب زائفة أو فقدت معناها، جردت منه، ليراد بها كرها وبغضا وهيمنة وتسلطاً وجشعاً، ولم يعد لها معنى إلا ذاك المعنى التدميري؛ فليدمروا كل شيء باسم الحب.. فما عاد للكلمة الناعمة من بريق ولا تأثير، وهم يحنون رؤوسهم الخبيثة أمام العالم ويتسابقون في بذل المزيد من الشعارات التي تريد الحفاظ على البشرية من جديد باسم الحب، مع تلك الصيغة الجديدة للحروب!!

بين الإلهام والتوثيق ..

الإبداع الفني في خضمّ الأوبئة (1)

د. عواطف منصور / تونس

منذ عهدٍ قديم كان الإنسان يحلم بعهد يجتمع فيه البشَر على شيء سواء، ولعله حلم كلّ مبدع وفنان ومثقف وباحث، في تصريف شؤونهم ومعالجة قضاياهم، وها هي الإنسانية جمعاء اليوم أشرفت على ما يشبه ذلك العهد، بيد أن الحلم انعكس، لتجتمع اليوم على ما تتوجس منه خيفة، ذلك أن الواقع العالمي اليوم أكثر تعقيداً من مجرّد حلم يجمعنا من أجل السلام بين الأمم أو المرور دون تأشيرات بين الدول، إنّه واقع مربك وغامض، وإن تضافرت فيه جهود الأمم فليس من أجل إحلال ذلك الحلم، ولكن من أجل إنقاذ الإنسانية من براثن عدو يتخفى ليُعلن عن وجوده من خلال الفناء والموت، ولئن تغيرت معاملات الدول بين بعضها وتطوّر نمط العلاقات بين واقتربت الأقطار من بعضها البعض، فليس من أجل الحلم ولكن من أجل «كرونا»، هذا الوباء المُدمّر والقاتل وباء أوقف العالم بأسره على قدم وساق.

إنّ خضوع أحوال جميع الأمم لسيطرة هذا الوباء القاتل، وبقاء الجميع في الحجر الصحّي قسراً لا خياراً جعل أفكار ورؤى العديد من المثقفين والمبدعين تتغيّر وتتبلور كلّ وفق اختصاصه ومجالات بحثه، فاختلفت المواقف كما اختلفت الرؤية، وتنوّعت الأساليب كما تغيّرت المباحث، ومهّدت بالتالي لإنتاجات متنوّعة نوعاً وشكلاً، إنتاجات شملت البحوث العلميّة والاختراعات كما شملت الكتابات والفنون، فجهر كل مبدع بما جاد عليه الحجر وإلزاماته القسريّة والغامضة. أساليب وإن اختلفت في مضامينها فإن هدفها كان واحداً، وهو البحث عن أسلوب للخلاص، وليس الخلاص هنا بمعنى إيجاد اللقاح الطبي، ولكن إيجاد لقاحات تُشفي من هذا الانتظار الغير معلوم عن نهايته، إيجاد أسلوب معبّر عن حالة الهلع، الخوف وربما التساؤل عن كنه هذا الفيروس.

والجدير بالذكر هنا أنّ الأوبئة كانت ولازالت قادح للعديد من المبدعين في بلورة تصوراتهم والمضي بها قدماً، وقد قدّمت للعديد من المؤرّخين مادّة وصفوا بها حال الشعوب وأرّخوا من خلالها لما آلت إليه الأوضاع جرّاءها على غرار المؤلفات التاريخيّة، «بدائع الزهور في وقائع الدهور» للمؤرّخ «ابن إياس»، الذي ذكر فيه ما ألحقه وباء الطاعون بالدولة المملوكية التي عايشها وشهد انهيارها. ومُؤلَّفْ «التاريخ والأوبئة» للمؤرخ الأمريكي «شلدون واتس» الذي تحدّث فيه عن وباء الطاعون وما فعله بالمصرين ويذكر حول ذلك «أن القاهرة التي كانت تُصنّف كأكبر أو ثاني أكبر مدينة في العالم بتعداد سكاني يبلغ نصف مليون نسمة، قد فقدت مائتي ألف من سكانها في الفترة ما بين سنوات 1347 و 1349 جرّاء هذا الوباء.

وكما وفّرت الأوبئة للمؤرّخين مادة للتأريخ، فإنّها قدّمت كذلك للأدباء مادّة خصبة للكتابة والتأليف، ولا يفوتنا أن نذكر في هذا

الحيّز المبدع العربي «طه حسين» وروايته الشّهيرة «الأيّام»، حين تحدّث عن إصابة أخيه الأوسط طالب الطب بوباء الكوليرا فكتب بمهارة إبداعيّة عالية وواقعيّة تعبيريّة جعلت كلّ من يقرأ القصة يشعر بتلك اللوعة ويعايشها، تلك اللوعة التي أصابت أهل بيته بموت أخيه الأوسط طالب الطب الشاب بالوباء، ويتحدث عن الوباء فيقول عنه كان قد «هبط إلى مصر ففتك بأهلها فتكاً ذريعاً ودمّر مدناً وقرى ومحا أسرا كاملة»، بالإضافة إلى رواية «عطارد» للأديب «محمد ربيع» التي تحدّث فيها عن انتشار «الكوليرا» و«أنفلونزا الحمير» التي كانت سبباً في الموت الذي حصد سكان القاهرة ما جعل عالم الرواية يبدو كابوساً مرعباً، ورواية «القلعة البيضاء» للأديب التركي «أورهان باموك» التي كتب فيها عن انتشار وباء الكوليرا في إسطنبول وتراجع أعداد من هلكوا بالوباء بعد تطبيق إجراءات الحجر الصحي في البلاد، ولعلّها رسالة تنفعها اليوم لنسير على خطى الحجر.

كما لا يسعنا أن ننسى الرواية الشهيرة «الحب في زمن الكوليرا» للأديب الكولومبي «غابرييل غارسيا ماركيز» وحديثه عن سفينة ترفع زوراً علم الوباء الأصفر ملاذاً للحبيبين «فلورينتينو وفيرمينا»، ورواية «الطاعون» الشهيرة للروائي الفرنسي «ألبير كامو» الذي تحدث فيها برمزيّة بالغة عن تفشي الطاعون في مدينة «وهران» الجزائرية في أربعينيات القرن الماضي وقد تُرجِمَتْ هذه الرواية عدّة مرات فكانت بمثابة الذاكرة والتاريخ وليس مجرّد رواية.

إنّه الإبداع عندما يتعدّى الكتابة ويتخطّى الأزمة ليُخلّف ذاكرة تذكّرنا كلما تناسينا، وها هي «كرونا» تذكّرنا بذلك الواقع وتدفع المبدعين للإستلهام منها وترك آثارهم ليذكرها من يرثنا مستقبلا على غرار من ذكرناهم بالأمس.

وليس التاريخ والأدب فقط قد نهلا من الأوبئة إبداعاً، ذلك أن الشعر أخذ مكانه أيضا ليكون اسم الوباء ذاته عنواناً للقصائد، ونذكر في هذا السياق قصيدة الشاعر «أحمد شوقي» التي تحدّث فيها عن انتشار وباء الكوليرا في مصر، والتي يقول مطلعها:

الدهر جاءك باسط الأعذار ..
فأقبل فأمر الدهر للأقدار
هل كنت تدفع حاضراً أو غائباً ..

عن مصر حكم الواحد القهار
ذاقت نواك وروعت بثلاثة ..
بالداء بعد المحل بعد النار
ودهى الرعية ما دهى فتساءلوا ..
في كل ناد أين رب الدار

ودون أن نغفل أيضاً القصيدة الشهيرة «الكوليرا» للمبدعة «نازك الملائكة» والتي ذكرت فيها انتشار وباء الكوليرا في جمهورية مصر سنة 1947، لتقول في مطلعها:

سكنَ الليل .. أصغِ إلى وقعِ صدى الأناتِ
في عُمْقِ الظلمةِ، تحتَ الصمتِ، على الأمواتِ .
صرخاتٌ تعلو ، تضطربُ ..
حزنٌ يتدفق ، يلتهبُ
يتعثر فيه صَدى الآهات.

وغير بعيد عن حقول الإبداع التي ذكرناها والتي نهلت موادّها من الأوبئة، نجد الفن التشكيلي هذا العالم الذي يجمع كل الحقول الثقافية في خضمّه ليؤرّخ من خلال الصورة ويكتب ويؤلّف من خلال التفاصيل المرسومة وينطق شعراً وخيالاً من خلال اللون يبدع ويبرع بمهارة الرسام لإنجاز إبداعات مازال تاريخ الفن يحفل بها ويقدّمها شاهداً على العصر.

والجدير بالذّكر أنّ الفن ومنذ القدم قدّم ولازال يقدّم إبداعات فنية ومنجزات تشكيليّة أرّخت لظهور الأوبئة والأمراض التي كانت سببا لهلاك العديد من الشعوب والأمم في العالم، وكان لها التأثير الواضح في سياق تاريخ الفن العالمي، ذلك أنّ الفنان التشكيلي جزء من أمته وشعبه وهو لا يتجزّأ عنه ومنه، لذلك يكون في أحيان كثيرة سبّاقاً ليعبّر عن مصاب قومه ويؤرّخ لهذه الفترات المحزنة في تاريخ الإنسانيّة. ولا يسعنا أن نتجاوز العصر الذهبي للفنون عصر النهضة الأوربية الذي ساهم في انقلاب

الرؤى والمعايير الفنيّة وجدّد في الأساليب والتقنيات الفنيّة كما أرّخ لفترات الأوبئة التي رُسمت بأسلوب واقعي خيّمت عليه النظرة السوداويّة، خاصّة وأنّ وباء الطاعون آنذاك قد تفشى بشكل رهيب وقضى على العديد من الناس وتواصل حتّى أواخر القرن السابع عشر، ما يعني أن الفن كان متواصلاً وكانت المنجزات تنجز في ظلّ الوباء فنقل الفنانون الواقع بأسلوب واقعي وتعبيري خالص جسّد بشاعة الوباء وآثاره.

واستنادا إلى ما كنا بصدده، عند الحديث عن المنجزات الفنية التي نبعت من رحم الأوبئة نذكر لوحات الرسّام الهولندي «بيتر بروغيل» (1525-1569)، الذي جسّد في عمله «انتصار الموت أو رقصة الموت» لوحة تميّزت بمشهديّة واقعيّة وتعبيريّة جسّدت بشاعة ما ألمّ بالناس نتيجة وباء الطاعون فرسمه في شكل الموت على هيئة هيكل عظمي راقص يمتطي صهوة جواد بدت عليه علامات العلّة والتهالك وهو يجرّ عربة مملوءة بالجماجم والعظام البشريّة. تميّزت اللوحة بتقسيم ثلاثي جاء الأوّل منها ليُظهر مدى الهلع والذعر والخوف

في صفوف الشعب بينما جاءت الجثث مبثوثة هنا وهناك على الرصيف من جراء الوباء، ولإبراز جسامة البشاعة يظهر عدد من المومياوات التي تحاول النهوض من توابيتها لتراقب تلاشي تلك الأجساد المتلاشية وكيف يتمّ كنسها بعيداً من قبل الجنود حتى لا تتم العدوى منها، بينما جاءت المباني المُدمّرة والمُتهاوية والبحر الذي تتهاوى فيه المراكب تباعا وكأنّها تعلن عن نهاية الحياة في الجزء الثاني من اللوحة بينما جاءت الخلفية لتمثل السماء التي يغطيها الدخان الكثيف، وكأنّه الإعلان عن النهاية المحتومة.

يبدو المشهد جنائزياً بكل ما للكلمة من معنى، إذ تحضر في اللوحة كل المعاني التي تحيل إلى الموت، الفناء والهلاك من هذا الوباء القاتل لا محالة، فالشخوص والألوان التي تحضر المشهد يبدو جميعها مرعب، حتى أنّ رمزيتها تحيل إلى ذلك، فالغراب نذير شؤم في العديد من الثقافات، وهو حاضر هنا وكأنّه ينعق منادياً إلى الموت، بالإضافة إلى هذا السواد الذي يكسو الجانب العلوي من خلفية اللوحة، وإن كانت درجات الضوء والظل تتباين فيه، فإنّها تفضي إلى الشعور بالذعر والموت. لقد تولّدت لوحة «بيتر بروغيل» من رحم الطاعون فخلّدت الواقعة رغم قرون مرّت وها نحن نستعيد ذكراها في ظل وباء كرونا الذي حلّ بنا.

ولا يتوقّف وباء الطاعون عن توليد منجزات تشكيليّة استلهمت مواضيعها من الوباء وجسّدتها بواقعيّة مفرطة ورمزيّة بالغة لتُعلن عن بشاعة الفاجعة التي أصابت المجتمعات، على غرار ما رسمه الفنان السويسري الأصل «أرنولد بوكلين» حين جسّد وباء الطاعون في شكل تنين على هيئة خفاش عظيم الجثّة، وربما هو يحيلنا بذلك إلى أن الوباء وهو ما يُذكر أنه انتقل عن طريق العدوى من الفئران إلى البشر، وعلى ظهر هذا التنين الخفاش مخلوق مخيف بين شكل الإنسان والشيطان يدفع بدابته هذه لتدوس كل من يقع في طريقها. وحتّى ينتفي الفنان كل تقنيات التعبيريّة والرمزيّة جعل المدينة تظهر في خراب تام وكأنّها مهجورة يكسوها الدخان الكثيف وكأنّه يحيلنا إلى الموت الذي كان ينبئ عن نهاية العالم، بل هو كذلك فالموت يُخيّم علي اللوحة من كل جوانبها وقد تعم هذه الفكرة تلك الجثث الملقاة هنا وهناك. لقد بدت اللوحة مشحونة برمزية ربطت عالم الأسطورة والخيال والواقع، وكل ذلك من أجل تجسيد مدى البشاعة والدمار الذي خلفه هذا الوباء لدرجة أنّ الصورة تشعر بالرعب والحسرة والذعر، كلّ ذلك ساهم في توليد هذا المنجز التاريخ، ليكون تأويلا ولو رمزيا ولكنه بلغ الفكرة. وهكذا كان الوباء شاحناً لخيال الفنان ليؤوّله في أشكال رمزيّة ولعلّ هذا الدخان الكثيف الذي يكتسح خلفيّة اللّوحة يحيل بدوره إلى شبح الموت المحتوم الذي يجره الطاعون.

(يتبع)

إبان فترة الحماية الفرنسية 1956 ـ 1912م..

الأوبئة والمجاعات في المغرب

محمد العيساوي. المغرب

يندرج موضوع الأوبئة والمجاعات ضمن ما يسمى ب «التأريخ للأزمة»، كنمط جديد ظهر مع التطور الذي شهدته الكتابة التاريخية، فتعددت اهتماماتها لتشمل إضافة إلى تاريخ الأزمات: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والطبيعي، وتاريخ الأمراض والعلوم وتاريخ البُنى والذهنيات وتاريخ المهمشين، فأعطت للتاريخ صيغة أكثر شمولية، وحررته من قيود الرؤى التقليدية التي كانت مسيطرة عليه، والتي تقوم أساسا على التأريخ للطبقة الحاكمة، وعلى تمجيد المعارك والبطولات وسير أصحابها.

وجدير بالذكر أن أوروبا كانت سباقة إلى الاهتمام بمثل هكذا مواضيع، إذ تعود أولى الدراسات المتخصصة إلى القرن (19م)، لكن القفزة النوعية في هذا الميدان البحثي برزت بشكل واضح بعد ظهور مجلة الحوليات سنة (1929م)، التي قطعت أشواطاً عديدة في مجال الكتابة حول تاريخ الأزمات والتاريخ الطبيعي، فقد ألف (E. Le Roy Laduri) على سبيل المثال لا الحصر كتابا عَنْوَنَه ب «تاريخ المناخ منذ سنة ألف» عام (1967م).

في حين جاءت اهتمامات الباحثين العرب بمثل هذه الدراسات في وقت متأخر من القرن الماضي، بالرغم من أن كبار المؤرخين كابن خلدون كان قد أشار إلى أهمية هذه

الأزمات كمؤشر لتحديد عمر الدولة، وكتب المقريزي أيضا كتابا حول تاريخ المجاعات والأوبئة في مصر سماه ب «إغاثة الأمة بكشف الغمة»، أما في المغرب فمن أبرز الأسماء التي تخصصت في الأوبئة والمجاعات نذكر المؤرخ محمد الأمين البزاز (رحمه الله) الذي كتب عشرات الكتب والمقالات في هذا المجال خلال القرن العشرين ومطلع الواحد والعشرين، إضافة إلى أسماء أخرى لا تقل أهمية كالأساتذة الأفاضل: الحسين بولقطيب (رحمه الله)، بوجمعة رويان، محمد استيتو...

وفي هذا الإطار فقد عرف المغرب عبر مختلف الحقب التاريخية كغيره من الأقاليم الجغرافية الأخرى أزمات وكوارث عديدة، خلفت سلسلة من التحولات الكبرى والانعطافات الحاسمة في مساره التاريخي، فكانت أزمتا الوباء والجوع من أشد البلايا وقعاً على هذا المجتمع، خاصة وأنها قد أفرزت واقعاً مريراً صَعُب على الإنسان المغربي معايشته في مختلف الفترات التاريخية، الشيء الذي انعكس على سلوكه وذهنياته، وحتى ندرك مدى تأثير هذه الأوبئة والمجاعات عليه، اخترنا أن نبرز مظاهرها من خلال فترة الحماية الفرنسية على المغرب (1912-1956م)، التي وقعت فيها العديد من الأزمات والكوارث.

1 - مفاهيم ومصطلحات:

1--1 الأوبئة:

يُعَرَّفُ الوباء في معاجم اللغة العربية بأنه «كل مرض عام» (ويمد ويقصر)، وجمع المقصور أَوْبَاءٌ، وجمع الممدود أَوْبِئَةٌ، وقد وَبِئَت الأرض تَوْبَأُ فهي مَوْبُوءَةٌ إذا كثر مَرَضُهَا، وكذلك وُبِئَت تَوْبَأُ وَبَاءَة فهي وَبِئَةٌ ووَبِيئَةٌ على فَعِلَة وَفَعِيلَة، وأَوْبَأَتْ أيضا فهي مُوبِئَةٌ، واسْتَوْبَأَت الأَرْضَ، وجَدْتُهَا وَبِيئَةً.

ويطلق على الوباء مرادفات أخرى كالقرف، فيقال: احذر القرف في غنمك، وقيل القَرَفُ هو العدوى، فأقرف الجرب الصحاح: أعداها، ويطلق على الوباء أيضا لفظ المُوتَان «وذلك على المجاز أصله في اللغة الموت يقع في الماشية».

أما مفهوم الوباء في الاصطلاح، فإن كل المصنفات الطبية الإسلامية في العصور الوسطى لا تكاد تخلو من التفاتة علمية إلى مثل هذه الأمراض، فيذكر ابن زهر أن الناس قد اعتادوا إطلاق اسم الوباء على «الأمراض التي تصيب أهل بلد من البلدان وتشمل أكثرهم»، خاصة وأن الناس جميعهم يشتركون في استعمال الهواء الذي يستنشقونه، ولهذا إذا كان الهواء فاسداً عم المرض أهل ذلك الموضع أو عم أكثرهم.

ولا يختلف مفهوم الوباء في الفترة الحالية كثيراً عما كان معروفاً عليه عند الأطباء المسلمين في العصور الوسطى، سوى بعض الاكتشافات العلمية الجديدة التي خطا بها الطب الحديث في ميدان علم الأوبئة، فهو أيضاً مرض عام مشترك بين الإنسان والحيوان تسببه البكتيريا، أو الفيروسات التي تختلف حسب نوع المرض الوبائي، وتكون سريعة الانتشار من الشخص المصاب إلى الشخص السليم، عن طريق عدة وسائط أهمها الماء والهواء، وبعض الحيوانات القارضة كالجرذان والكلاب البرية والسناجب والأرانب.

و قد شهد العالم عبر التاريخ عدة أوبئة تباينت من حيث تاريخ وأماكن ظهورها، والنتائج التي خلفتها، ومن أشهرها فتكاً بالبشرية نذكر: الطاعون، الكوليرا، التيفوس، الحمى الراجعة، الجمرة الخبيثة، الجدري، التهاب الحمى الشوكية...

1--2 المجاعات:

المجاعة في اللغة هي مفْعَلَةٌ من الجُوع،

ومن الفعل جَاعَ يَجُوعُ، فهو جائع وجوعان، والجُوعُ نقيض الشَّبَع، وهو اسم للمَخْمَصَة وهي مصدر مثل المَغْضَبَةِ والمَعْتَبَةِ: وهي خلاء البطن من الطعام جوعاً، والمسغبة أيضاً تعني المجاعة، وقد جاء في قوله تعالى في سورة البلد (الآية:14): «أو إطعام في يوم ذي مَسْغَبَةٍ» أي مجاعة، ويطلق على المجاعة أيضاً مصطلح الأُلْبَةُ: وهي مأخوذة من التألُّب والتَجَمُّعْ، لأن الناس يجتمعون في المجاعة ويخرجون أرسالا، ويقال للجوع أيضا الخَوْبَةُ، وأصابتهم خوْبَة الخاء المعجمة: أي مجاعة، ويقال للمجاعة أيضا الشِّدَة، والأنفَاض، وقد أطلق على السنة التي تحدث فيها المجاعة تسميات عديدة منها: السَّنَة الغَبْرَاء، سنة لُزْبَةٌ، السنة الحمراء...

والمجاعة من حيث الدلالة الاصطلاحية فهي لا تختلف عن معناها اللغوي، حيث تفيد بأنها كل حالة مرتبطة بنقص الغذاء أو انعدامه، وهي أيضاً ظاهرة اقتصادية واجتماعية شهدتها مختلف الدول والحضارات على مر الأزمنة، وحالت في كثير من الأحيان دون استمرار عجلة التطور، وبحدوثها يختل نظام الكون السائد ويدق ناقوس الخطر آذنا للموت أن ينال حظه من البشر في مدة من الزمن قد تطول أو تقصر.

2 - جوانب من تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب خلال فترة الحماية الفرنسية (1912-1956م):

عانى المغرب والمغاربة عبر التاريخ من ويلات الأوبئة والمجاعات بمختلف أنواعها، التي تسببت في كثرة الوفيات وتدمير البنية الاجتماعية وركود الاقتصاد، ولم تسلم حقبتنا (1912-1956م) موضوع مقالنا من هذه الآفات، والتي تتمظهر في ما يلي:

2--1 الأوبئة:

انتشرت خلال فترة الحماية الفرنسية الجوائح والأوبئة التالية: الطاعون، التيفوس، الجدري، الحمى الراجعة، الإنفلوانزا الإسبانية، التيفويد، السل، وحتى نتمكن من معرفة واستجلاء مدى خطورة وتأثير هذه الأوبئة على المواطن المغربي، سنركز على وبائين خطيرين ساهما في هلاك المجتمع وهما كالآتي:

أ- الطاعون: ظهر هذا الوباء الخطير في السنة الأولى من الاحتلال الفرنسي وخلف آلاف الضحايا، فعلى سبيل المثال فقدت منطقة «الشاوية» الواقعة في غرب المغرب حوالي 10.000 شخص، وللإشارة فهذا الوباء تسببه بكتيريا حيوانية المنشأ تدعى «اليرسنية الطاعونية» وتوجد عادة لدى صغار الثدييات والبراغيث، وينتقل هذا المرض بين الحيوانات ويمكن أن تنتقل عدواه إلى الإنسان عن طريق لدغة البراغيث المصابة بعدوى المرض والناقلة له، أو الملامسة غير المحمية لسوائل الجسم المعدية أو المواد الملوثة، أو استنشاق الرذاذ المنبعث من الجهاز التنفسي (الجزيئات الصغيرة المنبعثة من فم المريض المصاب بالطاعون)، ويصنف هذا الأخير إلى ثلاثة أنواع وهي: الطاعون الدبلي، طاعون إنتان الدم، الطاعون الرئوي.

وتسبب الطاعون على مدى التاريخ في اندلاع جوائح واسعة النطاق أسفرت عن ارتفاع معدلات الوفيات، وكان معروفا باسم «الموت الأسود» خلال القرن الرابع عشر، بعد أن حصد أرواح أكثر من (50 مليون) شخص في أوروبا، أما اليوم فإن الطاعون مرض يسهل علاجه بواسطة المضادات الحيوية واتخاذ الاحتياطات القياسية للوقاية من الإصابة بعدواه.

ب- التيفوس: كلمة تيفوس (Typhus) مشتقة من الكلمة اليونانية (Typhon) أي

(Torpeur) وتفيد معنى الخمول والفتور، وظل مصطلح تيفوس، لفترة طويلة يجمع عددا من الأمراض المعدية، حتى تمكن العالم الفرنسي «بواسييي دي سوفاج» «BOISSIR DE SAUVAGE» من فرز التيفوس الطفحي كداء مستقل إكلينيكيا في القرن (18م).

أما تعريف هذا الوباء فقد أجمعت كل الأبحاث على أنه من الأمراض الخبيثة المهلكة للبشرية، وهو داء عضال إذا حل ببلاد يهلك جل سكانها، فيتبع الجنود في حركاتهم وينتشر في النواحي التي خيمت فيها المجاعة، وتتمثل خطورة التيفوس في كونه ينتاب الأصحاء من الناس على حين غرة ودون أن يظهر عليهم من الأعراض ما ينذر بذلك، إذ يصاب المرء بانحراف صحي ترتفع على إثره درجة حرارته ويلم به صداع في الرأس تزداد معه دقات القلب، ثم يجف لسان المصاب ويتشقق، وتظهر طفوح وردية على جلده، وقد تدفع هذه الأعراض بالعليل إلى حالة من الهذيان، ثم يستكين إلى وهن يجعل عينيه تدوران كالذي يغشى عليه من الموت، كما قد يتفاحش الداء بصاحبه فيرديه ميتا.

يتسبب في داء التيفوس ميكروب «الريكتسيا»، الذي اكتشفه الأمريكي «ريكتس» «RICKETIS» وتوفي وهو يدرس التيفوس في إحدى مدن المكسيك، ثم أضيف إلى اسمه «بروفاتسيك» «PROWACEKI» وهو اسم عالم نمساوي مات بالطريقة عينها، فسُمي الميكروب الناقل للتيفوس «ريكتسيا بروفاتسيك».

تنتقل الجراثيم المسببة للتيفوس عن طريق القمل، وهو أمر اهتدى إليه العالم الفرنسي «شارل نيكول» «CHARLES NICOLE» مدير معهد باستور بتونس سنة (1909م)، بعد أن ساد الاعتقاد لمدة من الزمن بأن الداء مرتبط بما يطرأ على الجو من تقلبات، ذلك أن القملة إذا لسعت شخصا تركت بعض القاذورات حول المكان الملسوع، فإذا حك الإنسان ذلك المكان فتح بأظافره خدوشا في الجلد تسهل على الميكروبات الموجودة بتلك القاذورات التسرب إلى جسم الإنسان، فيصبح مصاباً بالتيفوس، كما يمكن أن ينتقل الفيروس من شخص إلى آخر عن طريق العدوى، إذ يصاب أقرباء المريض والمتعاملون معه بشكل دائم، ويجد مرتعا في المناطق ذات الحشود البشرية الكثيفة كالأسواق والأضرحة والمواسم...

إن التيفوس قد مس العديد من مناطق العالم على مر التاريخ، لكن تعتبر فترة القرنين (17 و 18م) من أخطر الفترات الزمنية التي استفحل فيها هذا الوباء، خاصة في القارة الإفريقية وأمريكا الوسطى والجنوبية، وكذلك المغرب لم ينجو من هذا الوباء القاتل، فقبل عهد الحماية الفرنسية شهده عبر سنوات متقطعة، حيث ضرب مدينة طنجة عام (1855م)، ومدينة موكادور (الصويرة) عامي (1868 و 1878م) ومدينة مازيغن (الجديدة) عام (1878م)، ومنطقة سوس عامي (1898 و 1899م)، ومدينة مازيغين عام (1906م).

أما خلال فترة الحماية الفرنسية فقد عانى المغاربة ومعهم المُعَمِّرين من ويلات التيفوس أكثر من أي مرحلة زمنية سابقة، وذلك بسبب حالات العود، حيث انتشر عبر مراحل ما بين (1913 و 1938م)، كما أنه شكل خطراً لا يمكن تصوره أثناء اندلاع الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) نتيجية قلة الأدوية والغذاء والأطباء، وازداد الأمر سوءاً بعد انتشار مجاعة (1945م)، وعموما فقد خلف هذا الوباء

الفتاك أعداداً كبيرة من المصابين به طيلة مرحلة الحماية .

2--2 المجاعات:

من منا لم يسمع ب: «عام الجُوعْ» أو «عام البُونْ» أو «عام بُونْتَّافْ» أو «عام الصندوق» أو «عام يَرْنَة» أو «عام خِيزُّو» أو «عام كَرْنِينَة» أو «عام حَمِّيضَة» أو عام «لَحْفَا ولَعْرَا»...، كلها أسماء تحيل على سنة (1945م) باعتبارها من أسوء تواريخ المغرب المعاصر، حيث وقعت فيها مجاعة خطيرة لم يشهد مثلها المغاربة من قبل، وتعزى أسباب هذه الكارثة الإنسانية إلى الاستنزاف الخطير للمواد الغذائية من قبل سلطات الحماية الفرنسية، بهدف تمويل المجهود الحربي الفرنسي في الحرب العالمية الثانية، مما انعكس سلبا على الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للمغاربة، جعلتهم عاجزين عن دفع ما يتربص بهم والأوبئة، بل وتفشت العديد من الأمراض المرتبطة بالجوع وقلة النظافة، كالتيفوس والطاعون والحمى الراجعة.

وقد بلغ عدد الوفيات في هذه السنة، حسب تقرير إدارة الصحة العمومية التابعة لسلطات الحماية (49986)، يشكل الأطفال نسبة مهمة منهم، مما جعل مجاعة عام (1945م) من أصعب السنوات التي مرت على إدارة الصحة العمومية، لتكشف هذه المسغبة عن ضعف الدولة الحَامية وهشاشة استعدادها لمواجهة هذه الكارثة، وعن زيف شعاراتها التي لطالما وعدت بها المغاربة بتحقيق الرخاء والازدهار وإنقاذ المغرب من التخلف.

وأمام انعدام الأقوات وقلة ما يسد الرمق، اتجه المغاربة إلى البحث عما يمكن تسميته بمواد التعويض، فانتشروا في مناكب الأرض بحثا عن الأعشاب، وتقاطروا من كل حدب وصوب لحفر جذور نبتة «إيرْني»، حيث كانت تغسل وتجفف تحت أشعة الشمس، ثم تطحن لاستخراج نوع من الطحين يمزج بقليل من طحين الدقيق، بل وأحيانا أخرى يتم عجن وطبخ «إيرني» كخبز يباع في الأسواق، ولم يكن استهلاك هذا الخبز خالياً من مضاعفات صحية، إذ كان يتسبب في تقرحات للمعدة والأمعاء مما يسبب الإسهال الحاد، لكن هذه المضاعفات الصحية كانت أهون بكثير من بطش الجوع الذي أهلك المجتمع.

كما أقبل المغاربة على نباتات أخرى مثل «الكَرْنِينَة» و«البَقُّولَة» و«الحَمِّيضَة» لمقاومة الجوع الفتاك، وأقبلوا أيضاً على بلوط الغابات والخروب، وابتدعوا أيضاً عدة وصفات لتعويض النقص الحاصل في المواد الأساسية، ففي مدينة وجدة مثلاً تم ابتكار نوع من الخبز المرتكز على خليط من جذور النباتات، والذي كان يسمى بـ «تُورْتو»، وفي الأطلس المتوسط أصبح الجراد المقلي والمشوي وجبة رئيسية وذات أهمية كبرى، وبمنطقة المعمورة صارت نبتة «التَّرْفَاسْ» الشبيهة بحبات البطاطس الصغيرة ذات قيمة كبيرة، وهناك من المغاربة من بحثوا - حسب بعض الروايات التاريخية - عن القنافذ والطيور، ورغم غياب وثائق تاريخية تدعم هذا الطرح، إلا أن بعض الباحثين والمتخصصين في هذه الحقبة التاريخية لا يستبعدون إفلات اللقالق مثلا من قبضة المغاربة، علما أن الحيوانات مثل الثعالب والقطط والكلاب كانت تؤكل في مجاعات القرنين (16 و 17م).

خلفت هذه المجاعة نتائج وخيمة ومآسي إنسانية، فكان المواطنون يتساقطون جياعاً في طرقات المدن ومسارب البوادي، حتى نهشت الكلاب بعض الجثث دون أن يقوى أحد على مطاردتها، كما اضطر الكثير من الفلاحين أمام ما ألحقته المجاعة من

أضرار إلى بيع أراضيهم أو تفويتها بأثمان زهيدة، لدرجة أن هناك من تنازل عن أرضه مقابل منحه ما يسد به رمق أبنائه، ومن جهة أخرى ساق الكثير من الرُّعَاة قطعانهم إلى الأسواق نظرا لقلة الكلأ والماء رغبة منهم في التخلص منها ولو بأبخس الأثمان، هذه الأوضاع المتردية في العالم القروي دفعت الكثيرين إلى الهجرة نحو المدن بحثا عن ما يقيهم العوز، وكمثال على ذلك فقد توافد على مدينة فاس (15000) شخص، والرباط (4000)...، ورغم محاولات فرنسا منع هذه الهجرات إلا أنها لم تنجح في إيقافها.

ولمواجهة تداعيات المجاعة لجأت سلطات الحماية إلى إقرار نظام جديد لتوزيع المواد الاستهلاكية الأساسية عُرف بـ «نظام التموين»، وسميت تلك الأوراق التي تعطى للمغاربة آنذاك بـ «البُونْ»، حيث منحتهم فقط حق الوقوف في طوابير أمام مخازن القمح أو مخازن السلع من أجل اقتنائها مقابل التقطيع الذي يشبه الطابع البريدي، ولم تعطيهم الحق في تسلم المواد بدون أداء الثمن.

إن مجاعة (1945م) جعلت المغاربة يطلقون عليها أسماء متعددة تبعا لسياق تعامل السكان مع هذه الظرفية وكيفية تدبيرهم لها والوسائل والمواد التي اعتمدوها آنذاك، فأطلقوا عليها في بعض البوادي ب «عام بُونَّافْ» نظرا لبوار الفلاحة بسبب الجفاف، حيث أن النباتات لم تنمو، الشيء الذي جعل الفلاحين يعملون على اجتثاثها ونتفها وإخراجها من الأرض لاستعمالها وطبخها، كما أطلق سكان المناطق الشمالية على هذه المجاعة «عام الصندوق» لأن النساء كن يهيئن الطحين والعجين لطبخه في الفران التقليدي المتواجد في كل حي مغربي، وكن يضعنه في صندوق ويُحكمن إغلاقه، ومن ثم يذهبن به إلى الفران، وهكذا إلى أن يعدن بالخبز كذلك في الصندوق، مخافة التعرض للسلب والسرقة نتيجة للجوع المنتشر بين العامة.

وهناك أيضا مسميات أخرى تختلف من منطقة إلى أخرى مثل: «عام خِيزُّو»، «عام كَرْنِينَة»، «عام حَمِّيضَة»، «عام لَحْفَا ولَعْرَا»...، وهي دلالة واضحة على حجم بطش الجوع الذي أهلك المغاربة واضطرهم إلى تناول النباتات لإنقاذ أرواحهم من موت محقق.

وإلى جانب هذه الأسماء المتعددة، نسجت ذاكرة المغاربة أمثلة شعبية خَلَّدت هذه السنة السوداء، نذكر منها المثل الشائع «فرنك دْيَالْ القَهْوَة تَيْعَطَّرْ وَجْدَة»، الذي يعبر بوضوح عن حجم أهمية القهوة خلال تلك الفترة لدرجة تحولها إلى رمز للثراء الفاحش، حيث كان الأغنياء يلتقطون صورا وهم يحتسون كؤوس القهوة وكأنها «نياشين نصر بعد حرب طويلة» حسب تعبير الباحث المغربي بوجمعة رويان، وفي المطبخ المغربي كانت المرأة تقوم بخلط الحمص مع القهوة، ثم يُدق الكل في المهراز بغرض مضاعفة الكمية، وعندما يسمع الجيران دقات المهراز يتسارعون لطلب كأس أو أقل من القهوة.

خاتمة:

نستشف مما سبق ذكره، أن فترة الحماية الفرنسية على المغرب، تميزت بانتشار أوبئة ومجاعات فتاكة، فرضت حالة عدم الاستقرار، وانعدام الأمن الغذائي، وتقهقر المستوى الصحي سواء في المدن أو البوادي، الشيء الذي جعل ذاكرة المغاربة تحتفظ بهذه السنوات السوداء، بل ووصفتها بأسماء عديدة، ونسجت حولها أمثال شعبية تعبر بوضوح عن ما عاناه أجدادنا خلال هذه المرحلة الزمنية.

أشد الجوائح والأوبئة فتكاً فى تاريخ البشرية

هبة الحفناوي . مصر

الجوائح والأوبئة التى اجتاحت العالم على مر العصور والأكثر فتكًا فى تاريخ البشرية. سُجل عدد كبيير من الجوائح والأوبئة خلال التاريخ البشرى مما تسببت فى تدمير تام للمدن. وإليكم أشد الجوائح والأوبئة فتكًا فى تاريخ البشرية

طاعون عمواس

من أوائل الأوبئة التى انتشرت فى المنطقة العربية وظهر فى السنة الـ 18 للهجرة (64م) فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب. وظهر بداية فى بلدة اسمها عمواس بالقرب من القدس ومنها إلى إلى الشام، وحصد حوالى 30 ألف من الشام بينهم عدد كبير من الصحابة

الموت الأسود (وباء الطاعون)

بدأ انتشار الطاعون فى القرن الرابع عشر وسمى بالموت الأسود لسرعة انتشاره، وأعراضه عبارة عن بقع نزفية تحت الجلد، وسببه أنه نوعٌ من البكتيريا تسمى «يرسينيا طاعونية»، وهذه البكتيريا تحتفظ بها القوارض مثل الفئران وتتكاثر بداخلها وتنمو، وتنتقل عدواها إلى الإنسان عن طريق البراغيث التى تلدغ الفأر ثم تلدغ الإنسان، أو نتيجة عض الفئران المعدية للإنسان بشكل مباشر. ومن المرجح أنه قتل ما يقرب من 75 إلى 200 مليون شخص فى القرون الوسطى، ومن 45% إلى 50% من سكان أوربا فى خلال 4 سنوات، وألمانيا وبريطانيا مات 20% من سكانهم. أما الشرق الأوسط، قتل نحو 40% من سكان مصر. وهناك 3 أنواع من الطاعون: (طاعون الغدد اللمفاوية، طاعون أنتان، والطاعون الرئوى). ولا يوجد لقاح فعال حتى الآن ولكن يمكن أن تساعد المضادات الحيوية على منع العدوى.

الطاعون الأنطونى

ظهر فى الفترة ما بين (165: 180)م وهو جدرى انتقل إلى شبه الجزيرة الإيطالية، من خلال الجنود العائدين من الشرق الأدنى وتسبب فى وفاة 5 ملايين. وفى ذروته الثانية سمى بالطاعون القبرصى (215: 266)م ووصلت وفيات اليوم الواحد إلى 5 آلاف فى روما.

طاعون جستنيان

ظهر فى الفترة بين (165: 180)م وأول اسم له كان «الطاعون الدملى» وبدأ فى مصر منها إلى القسطنطينية وتسبب فى ذروته إلى وفاة 10000 فرد فى يوم واحد. فهذا الطاعون انهى حياة ما بين ربع إلى نص سكان العالم بأكمله.

الوباء الثالث

بدأ فى الصين عام 1855م وانتقل إلى الهند وتسبب فى وفاة عشرة ملايين فرد، وخلال تفشى المرض عاصرته الولايات المتحدة الأميريكية فى صورة طاعون سان فرانسيسكو 1900: 1904م، وإلى اليوم مازالت هناك حالات فردية لهذا الطاعون فى غرب الولايات المتحدة.

الإنفلونزا الإسبانية

أو ما يسمى بجائحة إنفلونزا 1920 : فى 1918م وهذه الكارثة التى اصيب بها 500 مليون شخص حول العالم. وكان تمركز أثر

هذه الإنفلونزا فى وفاة الشباب وصغار السن. ومنها إلى إنفلونزا آسيا سببها فيروس H5N2 الذى بدأ انتشاره فى الصين 1956: 1958م وسبب الفيروس وفاة 4 ملايين شخص حول العالم. وانفلونزا هونغ كونغ لفيروس H3N2 انتشر بين 1969: 1986م أدى إلى وفاة ما يقارب مليون شخص. وفيروس الإنفلونزا H5N1 وهو مزيج بين أنفلونزا الخنازير والطيور والبشر.

الكوليرا

انتشر الكوليرا فى القرن الـ19، وتسبب فى مقتل عشرات الملايين، وهم 7 جوائح من الكوليرا: الكوليرا الأولى، الثانية، الثالثة، الرابعة، الخامسة، السادسة، والسابعة، فى سنين مختلفة، بدءًا من شبه القارة الهندية حيث بدأ فى البنغال منها إلى الصين، إندونيسيا، روسيا، فرنسا، كندا، الولايات المتحدة الأميريكية، إسبانيا وانتهاءًا إلى إفريقيا وجنوب إفريقيا ووسط إفريقيا.

الجدرى

من أكثر الأوبئة التى حصدت الكثير من أرواح البشر على مر التاريخ ويعتقد أنه ظهر أول مرة فى مصر قبل نحو 3 آلاف عام مما تسبب فى مقتل 20% من مصابينه والبعض الآخر اصيب بتشوهات مستديمة وعمى، ويعتبر من الأوبئة التى تمت السيطرة عليه من خلال لقاح، ولكن بعد أن كان حصد أرواح من 300 إلى 500 مليون شخص.

فيروس سارس

ظهر وباء الالتهاب الرئوى فى عام 2002 فى مدينة فوشان فى مقاطعة غوانجدونغ جنوب الصين، وأصاب 8 آلاف شخص وتسبب فى وفاة أكثر من 774 ألف شخص حول العالم، منهم 35 ألفًا فى الصين فقط. ولكن سرعان ما اختفى المرض فى عام 2003 وأقرت منظمة الصحة العالمية بالأحتواء والسيطرة على المرض، ولكنها حظرت من السفر إلى مكان ظهوره تحسبًا من احياءه من جديد.

الإيبولا

ظهر أول مرة فى عام 1976 فى السودان فى جمهورية الكونغو، بقرية تقع على مقربة من نهر الإيبولا، ويرجح أن يكون الخفاش قد أكل الثمار، وهو مصدر الفيروس، غير أن بعض أنواع القردة مثل الغوريلا والشمبانزى هو ناقل أساسى للفيروس منه للإنسان. وقد تسبب هذا الوباء فى وفاة نحو 50% منهم، ولكنه عاد من جديد فى عام 2014 فى غينيا وانتقل منها إلى عدة دول إفريقية ووصل حتى إلى الولايات المتحدة الأميريكية بواسطة مسافر واحد فقط. وتسبب من جديد فى عدد وفيات حوالى 11 ألف شخص وأصيب 27 ألف شخص فى إفريقيا، ولا يوجد له لقاح أو علاج حتى الآن.

وأخيرا COVID-19 (كورونا) المستجد، والذى ظهر فى الصين فى شهر ديسمبر من عام 2019 وأنتقل إلى مختلف أنحاء العالم، فقد وصلت حصيلة الوفيات الناجمة عنه حتى شهر مارس 2020 نحو 30900 قتيل واصابة أكثر من 665295 فى جميع أنحاء العالم. وقد وصفته منظمة الصحة العالمية بأنه جائحة ولم يتوصل أحد إلى لقاح أو علاج حتى الآن

بالإضافة إلى تلك الأوبئة، يوجد هناك العديد من الأمراض التى تحصد آلاف الأرواح سنويًا مثل أمراض القلب والسكرى والسرطان وفيروس سى. وأيضًا مقتل الكثيرين بسبب سوء التغذية والفقر فى قارة إفريقيا، ولكن لم يهتم أحد لمثل هذه الأمراض لأنها لم تتسبب فى عدوى بين الأفراد، إلا أن عدد الضحايا سنويًا يفوق أى جائحة أو باء.

أربع طرق للقضاء على كورونا

د. أحمد عزيز . مصر

عندما ظهر الفيروس التاجي الجديد في الصين، حددت الدولة بسرعة العامل المُمرض، وأغلقت حدودها وأطلقت حملة غير مسبوقة للقضاء على الفيروس، منها عدم مغادرة للبلاد، الدول الأخرى التي تبلغ عن حالات - مثل كوريا الجنوبية وتايوان وهونغ كونغ وسنغافورة، تحدد بسرعة المصابين، وتتبع الأشخاص الذين اتصلوا بهم، وتعزل حاملي الفيروس وتعمل على عدم انتشاره، من خلال هذه الاستراتيجية الثلاثية - الاختبار والتتبع والعزلة - ينجح الاستئصال، ويمكن حفظ الإنسانية.

في الواقع نجا الفيروس التاجي الجديد Sars-CoV-2 من تدخلات الصحة العامة للحكومة الصينية وانتشر في جميع أنحاء العالم، بينما تخبطت الحكومات الأخرى في ردودها المبكرة، امتد الفيروس بصمت عبر المجتمعات، وأصاب العديد من الناس وقتل البعض، الفيروس خطير بشكل ملحوظ - ينتشر بسهولة مثل البرد أو الأنفلونزا، حتى من خلال الأفراد الذين ليس لديهم أي أعراض واضحة وتظهر أحدث البيانات أن ما يقرب من 5 ٪ من الأشخاص الذين يصابون بالعدوى يدخول المستشفى، وسيتم قبول 30 ٪ منهم في وحدة العناية المركزة، وما يقدر بنحو 1.4 ٪ من أولئك الذين يصابون بالفيروس سيموتون.

يوجد في العالم الآن أكثر من مليون حالة إصابة مؤكدة بفيروس كورونا، الولايات المتحدة، التي لديها أكثر من 400000 حالة وتقترب من 13000 حالة وفاة، تجاوزت الصين، حيث كان هناك ما يقرب من 82000 حالة و 3000 حالة وفاة، نصف الحالات المؤكدة موجودة الآن في أوروبا، الدول المنخفضة والمتوسطة الدخل متأخرة ببضعة أسابيع فقط، في حين أظهرت دول مثل السنغال وليبيريا ونيجيريا نفسها مستعدة بقوة لمواجهة هذا التحدي، وحكوماتها مقيدة بنقص الموارد والرعاية الصحية والقدرة على الاختبار، ويبدو أن دولاً أخرى، مثل البرازيل والهند والمكسيك، تتكر ما هو قادم.

ما زلنا لا نعرف النسبة المئوية لسكان العالم الذين تعرضوا بالفعل للفيروس، بدون اختبار موثوق به للأجسام المضادة يمكنه تحديد ما إذا كان شخص ما مصابًا بالفيروس ومن المحتمل أن يكون محصنًا، فمن غير الواضح عدد الأشخاص الذين يحملون الفيروس ولكن لا تظهر عليهم أعراض، كما أن دور الأطفال في انتقال العدوى غير واضح؛ الأطفال ليسوا محصنين ولا يبدو أنهم يتأثرون بشدة.

لذا ماذا الآن؟ بناءً على ما تعلمته من النمذجة المنشورة وردود الدول الأخرى على الفيروس، هناك أربعة سيناريوهات محتملة لكيفية إنهاء هذا الوباء، إحداها أن الحكومات تتجمع للاتفاق على خطة استئصال تعتمد على تشخيص سريع ورخيص لنقطة الرعاية، وستغلق جميع البلدان حدودها في وقت واحد لفترة زمنية متفق عليها وتشن حملة قوية لتحديد حاملي الفيروس ومنع انتقاله.

يبدو هذا النهج غير مرجح؛ انتشر الفيروس بقوة وتحجمت بعض الدول عن التعاون فيما بينها، ولكن يمكن أن تصبح أكثر واقعية لثلاثة أسباب: العلاجات المضادة للفيروسات المستخدمة لمنع أو علاج أعراض Covid-19 قد تكون ضعيفة؛ قد يستغرق إنتاج اللقاح عقودًا؛ وقد تكون المناعة قصيرة المدى فقط، مما يؤدي إلى موجات متعددة من العدوى، حتى داخل نفس الأفراد، تحاول نيوزيلندا حاليًا نسخة من هذا النهج؛ أغلقت الدولة حدودها، وفرضت إغلاقها، وبدأت في إجراء اختبارات مجتمعية للقضاء على الفيروس.

السيناريو الثاني والذي يبدو أكثر احتمالًا إلى حد ما، هو أن تجارب اللقاحات المبكرة واعدة، أثناء انتظار اللقاح ستحاول الدول تأجيل انتشار الفيروس خلال فترة 12-18 شهرًا القادمة من خلال عمليات الإغلاق المتقطعة، ستحتاج السلطات الصحية إلى توقع، قبل ثلاثة أسابيع، ما إذا كان هناك ما يكفي من الأسرة والمراوح والأطباء لعلاج المصابين، وعلى هذا الأساس يمكن للحكومات أن تقرر ما إذا كانت ترغب في تخفيف أو زيادة تدابير الحجر الصحي.

لكن هذا السيناريو أبعد ما يكون عن المثالية، ستظل أنظمة الرعاية الصحية متوترة، والتكاليف الاقتصادية والاجتماعية للإغلاق مرتفعة، يمكن أن تؤدي عمليات الإغلاق المتكررة إلى بطالة جماعية وزيادة في فقر الأطفال وانتشار الاضطرابات الاجتماعية، في الدول الفقيرة، يمكن أن يموت عدد أكبر من الناس بسبب الإغلاق أكثر من الفيروس نفسه: من سوء التغذية أو الأمراض التي يمكن الوقاية منها باللقاحات أو الجفاف من قلة الوصول إلى المياه النظيفة.

السيناريو الثالث وحتى الأكثر تشابهًا هو أن الدول تتبع مثال كوريا الجنوبية أثناء انتظارها لقاحًا: زيادة الاختبار لتحديد جميع حاملي الفيروس وتتبع الأشخاص الذين اتصلوا بهم، والحجر الصحي لمدة تصل إلى ثلاثة أسابيع، وسيشمل ذلك تخطيطًا واسع النطاق، والتطوير السريع لتطبيق تتبع جهات الاتصال، وآلاف المتطوعين للمساعدة في المسح ومعالجة النتائج ومراقبة الحجر الصحي، يمكن تنفيذ المزيد من تدابير التمدد البدني الأكثر استرخاء لمنع انتشار الفيروس وتخفيف الضغط على أنظمة الرعاية الصحية.

في حالة عدم وجود لقاح قابل للتطبيق في المستقبل المنظور يمكن أن يتضمن السيناريو النهائي إدارة Covid-19 عن طريق علاج أعراضه بدلاً من سببه، يمكن للعاملين الصحيين إدارة العلاجات المضادة للفيروسات التي تمنع المرضى من التدهور إلى النقطة التي يحتاجون فيها للعناية المركزة، أو منعهم من الموت عندما يصلون إلى مرحلة حرجة، الحل الأفضل هو استخدام العلاج الوقائي لمنع ظهور Covid-19، بالاشتراك مع الاختبارات التشخيصية السريعة لتحديد أولئك الذين أصيبوا بالعدوى، في البلدان ذات الموارد، يمكن أن يكون هذا مستدامًا - ولكن بالنسبة للبلدان الفقيرة سيكون هذا النهج صعبًا، إن لم يكن مستحيلًا.

لا يوجد حل سهل ستشهد الأشهر المقبلة إجراء توازن هش بين مصالح الصحة العامة والمجتمع والاقتصاد، مع اعتماد الحكومات على بعضها البعض أكثر من أي وقت مضى، في حين أن نصف المعركة ستكون في تطوير أدوات علاج الفيروس وإيجاد علاجات مضادة للفيروسات واختبار تشخيصي سريع فإن النصف الآخر سوف يصنع جرعات كافية، وتوزيعها بطريقة عادلة ومنصفة وضمان وصولها إلى الأفراد عبر العالمية.

كيف نقرأ أزمة كورونا بالمقارنة مع كوليرا هاييتي 2010 ..

رأسمالية الكوارث

منى يسري. مصر

في مستهل عام 2010؛ ضرب زلزال قوي، لمدة 35 ثانية فقط، دولة «هاييتي»، لكنّه استطاع قتل 316 ألف من المواطنين، وإصابة ما يزيد عن نصف مليون، وتدمير العاصمة «بورت أو برنس» بأكملها، والتي لم يتبقَّ منها سوى هياكل لمنازل متهاوية، وانهارت البنية التحتية الرديئة، ولم يمضِ سوى شهر واحد حتى بدأت شركات التعدين في البحث عن الذهب الذي يملأ البلاد، كما سارعت شركات العقارات الأمريكية إلى إعادة الإعمار، وتحقيق مكاسب خيالية من تلك الكارثة، بينما غضّت الطرف عن وباء الكوليرا الذي ضرب البلاد، وتركت الآلاف يموتون بسبب تراخي الأمم المتحدة عن إمداد المدينة بشبكة صرف صحي.

لمصلحة من :

عام 2012، وقف رئيس الوزراء الهاييتي السابق، لوران لاموث، في مؤتمر صحفيّ قائلاً : «الولايات المتحدة الأمريكية تصنع الكثير من الأشياء الجيدة لأجل هاييتي»، وهو ما أثار استنكار الصحفي الاستقصائي الأسترالي، أنتوني لوينشتاين، الذي سافر بنفسه إلى البلاد ليرى ما الجيد الذي تفعله الولايات المتحدة، وليضع ما قدّمته لهاييتي ضمن أحدث كتبه، الصادر عام 2019، بعنوان «رأسمالية الكوارث: كيف تجني الحكومات والشركات أرباحاً طائلة من ويلات الحرب ومصائب البشرية»، والذي حاول من خلاله تشريح الرأسمالية التي تتربح على كوارث البشر، وتختلق الأزمات، وتتسبب في انعدام الانسجام الاجتماعي، وكيف تجلّى هذا الأمر بعد الأزمة المالية العالمية، والتي لم يدفع ضريبتها سوى الفقراء والطبقة الوسطى؛ فبعد انهيار بنك أمريكا، عام 2008، منح الرئيس الأمريكي السابق، باراك أوباما، البنك 45 مليار جنيه إسترليني، ليتمكنّ من الصمود أمام الأزمة، في حين أنّ البنك كان مرتكباً لجرائم جماعية بدءاً من تزوير الأوراق الرسمية لعملائه، ومثول الآلاف من المواطنين أمام محكمة الرهونات العقارية، باستخدام أدلة تحمل توقيعات تمّ تزويرها آلياً.

وعام 2013؛ نشر موقع «ويكيليكس» وثائق يشرح فيها حجم المساعدات الحقيقية التي كانت تتلقاها هاييتي قبل زلزالها المدمر بأعوام، حين ترأس البلاد الديكتاتور المتوفى عام 2014، جان كلود دوفالييه، الذي حكم البلاد بداية من 1971 إلى 1986، وأطاحت به انتفاضة شعبية، بعد أن أمدته الولايات المتحدة الأمريكية بصفقات من السلاح تقدّر بمبالغ باهظة، استخدمت في قمع المعارضين، ولأنّ أسرة «دوفالييه» التي نصّبت أفرادها حكاماً أبديين على هاييتي، كانت تعادي الشيوعيين، فقد أنفقت عليهم الولايات المتحدة بسخاء، وبدأت في الاستفادة من الاستثمار في البلاد، بأقل ضرائب ممكنة، والمحافظة على أجور أقل من حدّ الكفاف، وإزالة أيّة قيود قانونية على إعادة تدوير الأرباح إلى الخارج، كما فرضت على النظام تطبيق برنامج «نيوليبرالي»؛ الذي يسعى لتقليص القطاع العام، وعليه فقد زاد عدد الشركات الأمريكية في هاييتي من 7 شركات إلى 51 بحلول 1979، وارتفع إلى 300 في 1986، بينما انخفض متوسط الدخل بنحو 50%، ومع إزالة القيود على التصدير، زادت قيمة الواردات الزراعية الأمريكية إلى هاييتي في الثمانينيات والتسعينيات ثلاثة أضعاف.

الكوليرا VS كورونا :

في منتصف آذار (مارس) الجاري؛ أعلنت «هاييتي» إغلاق المجال الجوي مع أوروبا، بسبب انتشار فيروس كورونا المستجد، هذا قبل أيام قليلة من إعلان وزارة الصحة ظهور حالتين، ما جعلها تفرض الحجر الصحي الذي يعيشه العالم

أجمع، ولكن قبل عقد من الزمان، وبعد أشهر من زلزال هاييتي، ضرب وباء الكوليرا البلاد الغارقة في خراب المدينة التي فتك بها الزلزال كما لو كان قصفاً نووياً، ومن طريقة تعامل العالم والمنظمات الدولية مع وباء هاييتي، ربما نفهم كيف تدار هذه المنظومة؛ إذ بدأ مرض الكوليرا يجتاح البلاد، في تشرين الأول (أكتوبر)، وما يزال من فقدوا منازلهم مشردين في خيّام قدمتها إليهم بعثة الأمم المتحدة، ويحكي المقال، الذي نشرته صحيفة «نيويورك تايمز»، في آذار (مارس) 2012، للصحفية «ديبورا سونتاج»، كيف انتشر الوباء في البلاد، وتقدم الصحفية أدلة دامغة على أنّ جنوداً نيباليين قدموا إلى هاييتي ضمن بعثة الأمم المتحدة لإرساء السلام في البلاد، (عرفت باسم بعثة «مينوستاه)؛ إذ كانوا مصابين بالكوليرا، ولوثوا نهراً بقرب قواعدهم العسكرية، يرتبط بشبكة للصرف الصحي، ومنها انتقل الوباء الذي ضرب 5% من سكان البلاد؛ حيث تجاوز تعداد المصابين 712 ألف شخص، فيما توفي ٩ آلاف آخرون، في بلد لم يتجاوز تعداده 10 ملايين نسمة، وبالرغم من ذلك رفضت الأمم المتحدة الاعتراف بالمشكلة في البداية، حتى بدأ الأمين العام السابق للأمم المتحدّة آنذاك، بان كي مون، في التحدث عن إمداد هاييتي بشبكة من الصرف الصحي، لكنّها تركت السكان بلا معونات طبية، في حين أنّ النظام الصحي في البلاد منهار من قبل الوباء، وكان المطلوب تقديم مبلغ 38 مليون دولار، لتنقية المياه وشبكة صرف، إلا أنّ الأمم المتحدة فشلت في تقديمه، في 2013، في الوقت نفسه الذي رفضت فيه المنظمة إلقاء اللوم عليها ودفع تعويضات للضحايا، كانت قد أقرتها المحكمة، وفي الوقت الذي عانت فيه البلاد من الزلزال والإعصار إيرين، الذي ضربها بعد أشهر، ثمّ الكوليرا، وبينما السكان يبيتون في العراء، اتجه الرئيس «ميشيل مارتيلي» إلى افتتاح منطقة صناعية جديدة في «كاراكول»، كان المساهم الرئيس فيها الولايات المتحدة الأمريكية، ليصدح في المؤتمر الصحفي؛ «هايتي منفتحة للأعمال».

تواطؤ النيوليبرالية:

ورغم أنّ التخطيط للمدن الصناعية هذه بدأ منذ 2008، إلّا أنّ افتتاحها تمّ وقتما كان السكان المحليون أسرى الكوارث الطبيعية والوباء الذي لم تقدّم لهم أية منظمة دولية مساعدة تذكر فيه، سوى منظمة «أطباء بلا حدود»، التي عالجت ما يقرب من 170 ألف حالة، ولم تبالغ صحيفة «نيويورك تايمز» حين كتبت على صفحاتها الأولى، في إطار الذكرى الثالثة للزلزال: «العالم خذل هاييتي، ومنطقة صناعية لم تجلب حلولاً لأزمات السكان»، لكن يتضح أنّ المستفيد من كلّ تلك الكوارث المتعاقبة على هاييتي كان الشركات التي صنعت أرباحاً طائلة من العمالة الرخيصة، في هذا الإطار تحدثت أستاذة الاقتصاد بالجامعة الأمريكية، الدكتورة أمينة كامل، لـ «حفريات»: «في ضوء النيوليبرالية لن يرى الرأسماليون في الأزمة سوى المزيد من الأرباح، وهاييتي وغيرها من دول العالم الفقير أنموذجاً لذلك، حتى في أمريكا نفسها؛ فشركة «كلايتون هومز»، التي قايضت الحكومة الأمريكية لبناء عربات تحمي المواطنين من الإعصار، ربحت مبالغ طائلة، وقدمّت عربات بمستويات عالية من الفورمالدهيد، لم تحم أحداً». هذه الطريقة من التفرقة الاجتماعية والطبقية والدولية، التي تتبرع لشعوب دون أخرى، وتصبّ الثروات في أيد الأقلية عالمياً، هي، في نظر كامل «النموذج الشرس من النيوليبرالية منذ أن بشّر به الأمريكيون في السبعينيات، فهو يرى الأرباح في كلّ مكان حتى بين الأنقاض، وفوق جثث الموتى».

وفي الذكرى الأولى للزلزال خرج إلى التلفزيون وزير الداخلية السابق، باتريك إيلي، يتحدث عن أنّ بلاده خاضعة لسيطرة النفوذ الأجنبي، خاصة الأمريكي، وبسبب هذا اللقاء، أجرى الصحفي، أنتوني لوينشتاين، مع الرجل، الذي كان صيدلانياً سابقاً، ثم أصبح ناشطاً سياسياً، مقابلة في منزله؛ حيث عبّر الرجل بأريحية عن رؤيته لكيفية تعامل المجتمع الدولي مع بلاده، التي وصفها بالمحتلة أمريكياً، ووصف رؤساء بلاده بأنّهم «ممثلون عن واشنطن»، وأنّ العالم قد تخلّى عن ملايين السكان تحت وطأة الزلزال والإعصار والكوليرا، في انكشاف واضح لحقيقة هذه المنظمات الدولية، التي كانت، في الوقت نفسه، تساعد الحكومات والشركات على التنقيب عن الذهب فوق جثث ضحايا الوباء، بينما أخذت تتوسع في استجلاب العمالة الرخيصة، التي تقاضت أجراً أقل 50% مما كانوا يتقاضون أيام حكم الديكتاتور المخلوع دوفاليه.

شكراً للسيدة ك ..

استدراج الذّات للتّصالح معها

فتحية الهاشمي. تونس

للعمر موجباته وإرهاصاته واكراهاته أيضاً، و للتّجربة الحياتيّة والإنسانية تراكماتها هي الأخرى، لسائلٍ أن يسأل : ما هو الرّابط بين ما سبق ذكره و الحجر الصّحّي أو الحظر أو منع الجولان ؟

قد تختلف التّسميات و تتباين، و لكنّها تلتقي في معنى يكاد يكون موحّداً، أو تشترك فيه و تلتقي كلّ هذه النّواهي، ألا وهو تقييد الحركة وعدم الخروج للشارع أو التّزاور أو ارتياد المقاهي و الملاهي و كلّ الأماكن العامّة، وهذا أصلاً ليس من أولويّاتي، ولا من عاداتي المحبّة لنفسي، لذلك وجدتني غير مهتمّة كثيراً بما يحدث حولي إلا من النواحي الصّحيّة فقط، أو في فقدان التّواصل مع ابنتيّ و حفيدتي التي أظلّ أحضن صورتها في هاتفي الجوّال وأناغيها وألاعبها وأعيد تسجيل الفيديو الذي ترسله لي ابنتي كلّ يوم عشرات المرّات ... «ليلوشتي» أفتقدها جدًّاً و أحتاجها جداً، و أتمنّى أن تملأ البيت بضحكاتها و مشاغباتها، وما عدا ذلك يهون، فأنا بطبعي قليلة الأصدقاء، بل هم يعدّون على أصابع اليد الواحدة. معارفي كثر، و من أتعامل معهم ثقافياً أكثر، و لكنّ أصدقائي الخلّص على قول الشاعر «يوسف رزوقة» قلّة قليلة، ألم أقل لكم قبل أن يأخذنا الحديث بعيداً إنني قد قمت بالحجر الذّاتي والعاطفيّ والاجتماعيّ منذ مدّة ؟

بين الصداقة والحبّ مثل حدّ السّيف أو الشّعرة، لذلك أختار أصدقائي بدقّةٍ متناهية، لذلك لم ترهقني إجراءات الحظر الصّحّي أبداً، بل هي ساعدتني كثيراً و جعلتني أتمّ أعمالاً عالقة منذ زمن : «ظلّ اللّهّ» ـ هي الآن في اللّحظات الأخيرة، و الفضل يعود للحجر الصّحّي.

ما تركته منذ عامٍ شارفت على إنهائه في شهرين، روايتي الخامسة التي تحوّل أكثر من نصف أحداثها إلى القبض على أدقّ تفاصيل التّفاصيل للكورونا أو «السيدة ك» على قول الناقد «البشير الجلجلي»، هي ليست تفاصيل صحّيّة ولا طبّيّة، و لكنها الامساك بلحظاتٍ مميّزة وفارقة ومعالجتها بطريقة ساخرة / باكية، أو هكذا بدا لي.

طبعاً، أترك كلّ التفاصيل للقارئ والناقد الذي سيكتشف أيضاً ماضي «فتون» السياسي و بعض ما عاشته مع الإخوان المسلمين حاضراً و ماضياً، و هذا طبعاً من فضائل الكورونا عليّ و لن أنسى طبعا «الشّطار»، ولا «لقيطة اسطامبول»، و لا «محمد شكري» و لا «أليف» و التّرك و لا المغاربة و لا «جبرا ابراهيم جبرا»، ولا «إغواء المسيح الأخير» ... فهل يعتبر ما عشته و أعيشه حجراً، أم هو رحلة كتابة وقراءة و مراجعة لما قرأته بعيني الناقدة و المحايدة ؟

وجدتني فعلاً ألهث بين النّصوص و أمسك بهذا لأرمي به بسرعة و أمسك بالآخر حتى أجد ضالتي، ما قرأته بعين العشرين لم أجد فيه لذّة عين الخمسين، فعلاً ما كنت أعتبره قدوتي في الرواية نفضت منه عقلي، وما كنت أظنه رائداً وجدته مبتدئاً، هناك من سيتهمني بالغرور والغلوّ و المبالغة في الحكم على ما قرأته، وله ذلك طبعاً و من حقّه، لكنني مستعدّة للدّفاع عما اعتقده حتى اللاحدّ.

الحجر الصّحّيّ وما أدراك ما هو، أنا أعشق المدينة العربية، و أنا أقطن أمام قصر «خيرالدين باشا»، ذاك المتحف الذي تزيّنه اللوحات و توشي جدرانه كالقبل، أقف في نافذتي، وأرنو لنوافذه المشرعة على الصمت، وأنصت له يضجّ بالألوان فأشرّع عينيّ على الاتي، وأتمنى أن أمسك بفوضاه بين كفّيّ فيتسرب الأحمر والأسود والبني، و يسيل البياض الشفيف حتى يصل إلى قدميّ فأطيرُ فارداً يديّ محلّقة فوق فقاقيعٍ ملونة بالأمل و الحبّ .

كلّما استبدّ بي الشوق لزرقة الأبواب وعبق البخور، هربت للقصبة ليلاً صحبة ابني، الضّوء الأصفر يحملني متوضّئة بالنور حدّ «مقام سيدي بن عروس»، و يعرج بي على جامع الزّيتونة، أركض وسط الأزقّة الحلزونيّة، و«أيوب» يحاول مسايرتي في هبلي وجنوني، أمسك بزرقة الأبواب متلصصة على لهفتي فأهرب إلى شقوق الجدران وأختبئ من لصوص الوطن والحبّ و الحرّيّة ... أجري وأجري وأجري، ولا أتوقف حتى أصل إلى «بير الأحجار»، أستند إلى الزّيتونة المركونة للحزن هناك وسط الساحة وأهمس لها : جيتك هاربة بهمومي، نلقى همّك مالو مثيل، يا أمّ القلب المسوّس الخايخ، والصدر العليل».

وأعود للبيت وأنا أتمنى للإنسانية ــ كل الانسانية ــ السلامة من «السيدة ك» التي منحتنا الفرصة كي نتصالح مع ذواتنا، وأن ندوزن حياتنا على وقع المحبة من جديد .

ولا أكون مجنونة حقاً إلاّ وقد دوزنت « النوبات « ك «مرايا التّراب، وقصص التفاصيل المنسيّة» لتفتح نورة عبيد «بوابات على ديدان النسيان»...أو هي رحلة تذكّر لتفاصيل السيدة «ك»، أو «الكوفيد التاسع عشر» بناءً للذاكرة المنسيّة.

أهوال الكورونا

COVID-19
CORONAVIRUS

صباح محسن كاظم. العراق

تمر الشعوب والأمم بمنعطفات خطيرة تهدد وجودها البشريّ كالحروب الفتاكة طوال التأريخ، وآخرها الحربين الكونيتين اللتين أودتا بمئات الملايين من الأبرياء , ومرت بمأساة كالزلازل التي حطمت البنى التحتية وأودت بملايين الضحايا، وتتجاوز البشرية تلك المحن بالبناء العلمي والثقافيّ والإستعدادات اللوجستية بكافة الجوانب ..لكن مداهمة وباء «كورونا» بهذه الجائحة التي أوقفت 3مليار و900 ألف بحجر إلزامي وشلت 90 بلداً بالعالم تعد هي الأخطر بالأوبئة التي مضى عليها قرن بهذه الصورة المُفزعة المُرعبة التي خطفت للآن أكثر من 50 ألفاً من الضحايا وقاربت المليون مصاباً عالمياً، ولازالت تنتشر كالنار بالهشيم، لم تقف أمامها أكثر الدول بالضمان الصحيّ والتطور التكنلوجيّ فهتكت الشعوب كإيطاليا وإسبانيا وأمريكا بعد ظهور الوباء بالصين .. وعشرات من المحللين يوعزون ذلك لحرب فايروسية جرثومية عالمية للتفرد الإقتصادي والهيمنة بين أقطاب الصراع بالعالم للإستحواذ على تصدر المشهد العالمي كما ذكرته كل الصحف العالمية.

أول الإصابات: اصابة 67 جندي أمريكي في شهر فيفري (فبراير) في مختبر في أفغانستان، تكتمت عليه الولايات المتحده وتم ارسال الجنود للصين للمشاركة في

العرض العسكري في فيفري في «يوهان» لإبعاد شبهات وفاتهم عند العودة بسبب الغاز واعلن وفاتهم بسبب كذبة الفيروس. حتى لا يقع مطالبة السلطات الأمريكية.

بعد يوم من العرض العسكري في «يوهان» تم الإعلان على الفيروس من قبل منظمة الصحة العالمية والمكان يوهان (السبب الوحيد لاختيار «يوهان» بالتحديد لأن الجنود 67 المصابين شاركوا في عرض «يوهان» وليس أكل الخفافيش و الأفاعي في «يوهان» هي السبب) قبل العرض ب 10أيام تم اكتشاف الغاز من قبل طبيب في المختبرات الصينية، ولكن السلطات الصينية تكتمت على الموضوع وقامت بعزل الطبيب 7 أيام حتى الموت، وهو سبب مطالبة أهل وأصحاب الطبيب بحقيقة موته. حتى بآخر إستطلاع عالمي لـ 12 مفكراً من القارات الذي نشره موقع بوابة الهدف - ترجمة وتحرير: أحمد مصطفى جابر-عن فورين بوليسي جميع هؤلاء أشاروا لنقاط جوهرية منها ماذكره :

يذكر جوزيف س. ناي الابن (أستاذ في جامعة هارفارد ومؤلف كتاب Do Morals Matter؟ الرؤساء والسياسة الخارجية من روزفلت إلى ترامب)، إنه في عام 2017، أعلن الرئيس الأمريكي «دونالد ترامب» عن استراتيجية جديدة للأمن القومي تركز على منافسة القوى العظمى. ويظهر COVID-19 أن هذه الاستراتيجية غير كافية، حتى لو سادت الولايات المتحدة كقوة عظمى، لا يمكنها حماية أمنها من خلال التصرف بمفردها، كما لخص ريتشارد دانزيج المشكلة في عام 2018: «إن تقنيات القرن الحادي والعشرين عالمية ليس فقط في توزيعها، ولكن أيضاً في عواقبها. يمكن أن تصبح مسببات الأمراض وأنظمة الذكاء الاصطناعي وفيروسات الكمبيوتر والإشعاع التي قد يطلقها الآخرون بطريق الخطأ مشكلتنا مثل مشكلتهم. يجب متابعة أنظمة إعداد التقارير المتفق عليها، والضوابط المشتركة، وخطط الطوارئ المشتركة، والمعايير، والمعاهدات كوسيلة لإدارة المخاطر المتعددة لدينا. « ..أزاء هذا المشهد ماذا يترتب على المثقف والأديب وهو يحمل هموم الإنسانية بكل مكان كيف يُجسد تلك الآلام والمحن التي شهدها العالم خلال هذه الجائحة المدمرة للقضاء على الوجود ..بالطبع كل الجوانب الإبداعية من التشكيل والمسرح والقصيدة والرواية والقصة ترصد الحالات الإنسانية لتكون شاهداً على العصر، كما خلدت النصوص المسرحية الهادفة الصراع الإنساني بمسرحيات شكسبير.. أو لوحة الجورنيكا لبيكاسو الحرب الإسبانية..وقصائد بودلير وأليوت ووالتمان ضد الحروب والفجائع الإنسانية، يمكن للسرد القصصي والروائي إستلال موضوعاته من تلك المأساة العالمية وهو يرى الناس تموت بالطرقات ..حتى أن الطليان قاموا برمي أموالهم من نوافذ العمارات للطرقات مادام لاتنفع الأموال بالشفاء ..فالحتمية التأريخية تتطلب من المبدع أن يكون مستفزاً من كل الأهوال ويُجسد ذلك بالنسق البنائي بسردياته بأي نص إبداعي ..فالمبدع ضمير وصوت من لاصوت له ..النص الشعري بإحتجاجه على تصنيع الموت ..وبالنص القصصي والروائي بسرد المعاناة الإنسانية للمرضى والمناشدة بالتكافل الإنسانيّ والصحيّ والبيئيّ لدرء مخاطر «الكورونا» فالأعمال الإبداعية الكبرى التي أنتجها تولوستوي ودستوفسكي وبوشكين نتيجة رصدهم القهر الإجتماعي والأمراض وإمتهان كرامة الإنسان ..لذا مُنتج النص اليوم وجهً لوجه أمام المحنة ..أعتقد ستكون هناك روايات عالمية وقصص مهمة ستروي للأجيال مامر بهذا الزمان .

قبل أن نفترق

مأزق الأعداد الخاصة

هي مغامرة محفوفة بالظنون، أن تنجز عدداً خاصاً تدور كل مقالاته على موضوع واحد، بينما تعيش أنت نفسك ومجلتك ومجتمعك ظرفاً خاصاً لا يمكن إغفاله أو تجاوزه أو نسيانه ولو لجزءٍ من اللحظة .

هكذا هو الأمر .. لكن الصحافة علمتنا عبر عشرات السنين كيف نعبر المصاعب بقلوبٍ من حديد، وكيف نبتسم للعابرين ونحن على وشك البكاء .

بدون التورط أكثر في التفاصيل، ها هو عدد الليبي الخاص عن «الكورونا»، وقد أسعدتنا استجابة عشرات الكتاب الرائعين لدعوتنا لهم، حتى أننا كنا مضطرين إلى استبعاد الكثير من المقالات لأن المئة صفحة لم تكف ليتسع صدرنا لكل ما وصلنا من إبداع.

ملاحظة صغيرة قبل أن نختتم معكم هذه الصفحة الخاتمة، كل ما ورد في مقالات هذا العدد يعبر عن آراء اصحابها وحدهم، على اختلافها وتباينها ولا يد للمجلة في تعبير أحدهم عن فكرةٍ أو رأي .

مجلة الليبي

زمان ..

كان غصن
الزيتون رسالة
للحمامة.
تغير الزمن .
واستبدل الحمام
غصنه بكمامة من
قماش .
الله يا زمان .

اللوحة بريشة
الفنان المغربي
محمد العيشاتي

وطن الثقافة
وثقافة الوطن

مجلة الليبر